عقيدة أهل السنة والجماعة

فضيلة الدكتور

علي جمعة

مفتي الديار المصرية



عقيدة

أهل السنة والجماعة

فهرسة الكتاب

جمعة ، على .

عقيدة أهل السنة والجماعة / على جمعة - ط٥ - القاهرة :

دار المقطم للنشر والتوزيع. ٢٠١١

تدمك: ٢ ٠٤٦ ٤٧٨ ٩٧٧ ٩٧٨

٢٠٠ صفحة : ٢٤ سم

١- السنة

أ. العنوان ٢٣٠

رقم الإيداع : ٩٣٠٤ التاريخ : ١٩/ ٥ / ٢٠١١

الطبعة الخامسة

إبريل ٢٠١٥م - رجب ١٤٣٦هـ



٥٠ شارع الشيخ ريحان - عابدين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

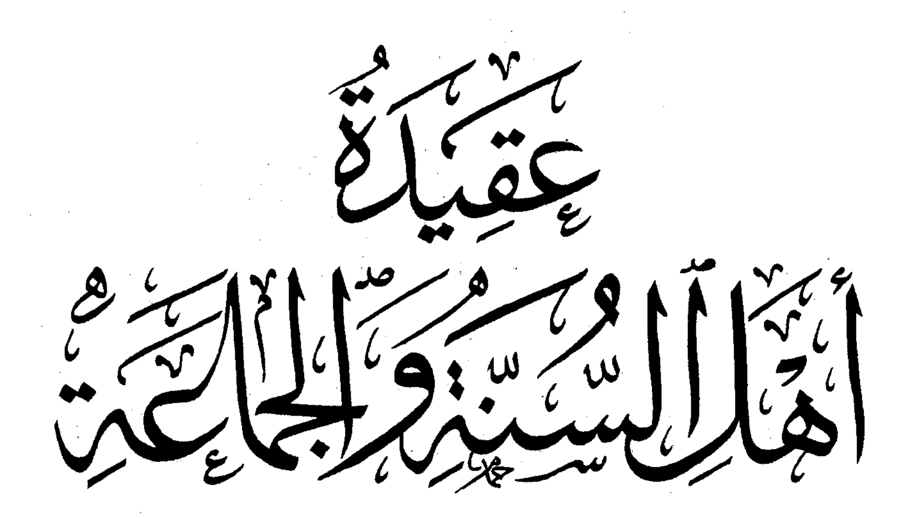
Tel : (00202) 27958215 - 27946109

Fax : (00202) 25082233

Website : www.dar-almokattam.com

Email:info@dar-almokattam.com

sales@dar-almokattam.com



فضيلة الدكتور

علي جمعة

مفتي الديار المصرية



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منَّ علينا بنعمة الإسلام، وجعل حسن الاعتقاد سبيل الوصول إليه في الابتداء والختام، والصلاة والسلام على العبد الأكمل الذي أخذ بأيدي الخلق إلى معرفة صفات الملك العلام، وكان رحمة الله للعالمين وشفيعهم من الهلاك والزوال.

وبعد... فإن أحسن ما يلقى العبد به مولاه عز وجل اعتقاد صحيح وعمل مليح، ولذلك وجدنا أن نخرج كتابًا في العقيدة، بطريقة سهلة وميسورة عما هي عليه في الكتب المتخصصة التي لا يُقبل عليها سوى الدارسين، فأحببنا أن نقرب مسائل علم العقيدة لغالب القراء المتطلعين لمعرفة أصول ومسائل هذا العلم، بطريقة تجمع بين حقائق الإسلام ودقائق الإيمان ولطائف الإحسان، وهذه كليات الدين الإسلامي الحنيف، بل هي قواعد جميع الأديان: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠]، وقوام هذه الأديان وغايتها الكبرى هو ما صرحت به الآيات من مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، إذ المراد من العباد توحيد الله سبحانه، والخضوع له بالعبودية، والإنابة إليه دومًا خاصة عند الشرود والغفلة وساعة العظة والعبرة، لضمان سعادة الدارين، ولتحصيل سكينة النفس وقرة العين، يقول تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ۝١٨ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد:١٨، ١٩].

وقد آثرنا ألا يخلو الكتاب مما يرقق القلوب، فمزجنا بين المباحث الكلامية وشيء مما يتعلق بالسلوك، مما له صلة بموضوع الكتاب فخصصنا مبحثًا للكلام عن أسماء الله الحسنى التي من تعلق بها نجا، وسلفنا في ذلك سيدي أحمد الدردير رحمه الله، حيث قال في الخريدة البهية :

فهو الجليلُ والجميلُ والوليْ والطاهرُ القدوسُ والرَّبُّ العليْ

وكذلك أشرنا إلى جانب من الذكر: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨]. والقلب محل الاعتقاد. يقول الشيخ الدردير:

وخَلِّصِ القلبَ من الأغيار بالجِد والقيام في الأسحار

والفكر والذكر على الدوام مجتنبا لسائر الآثام

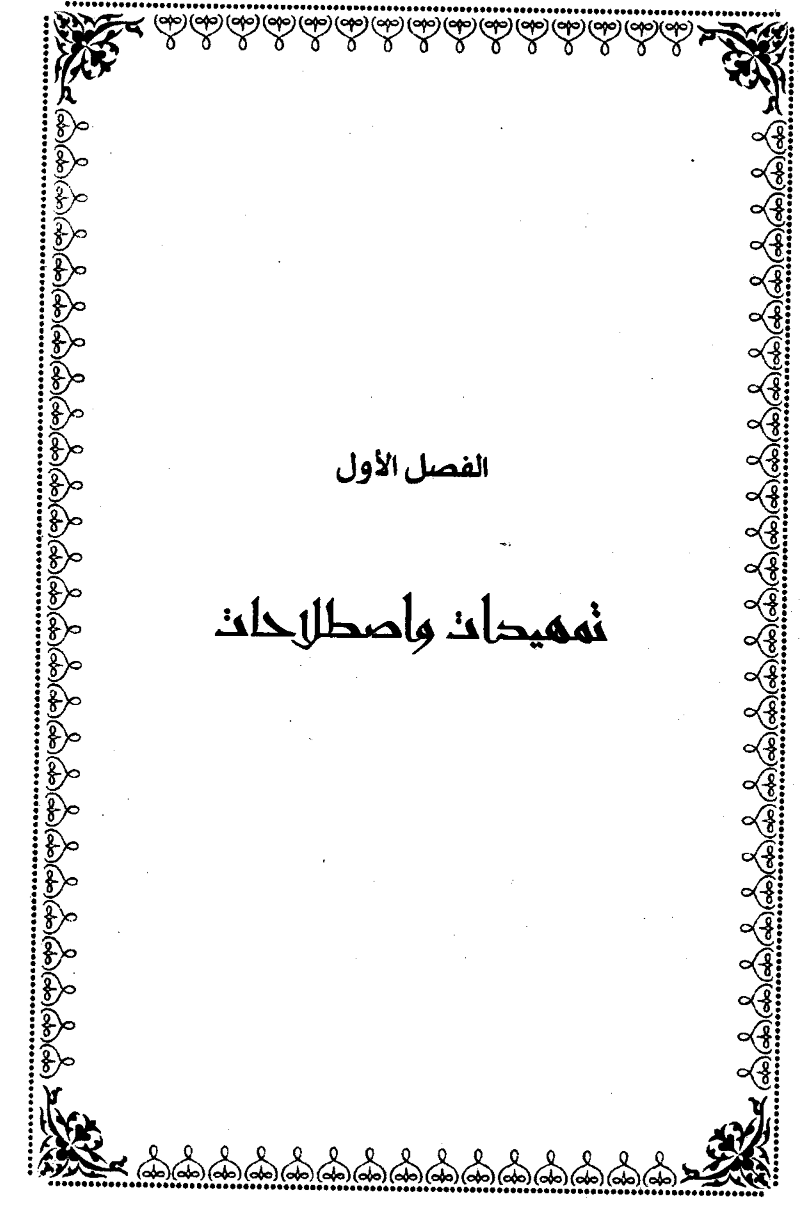
وديجنا ذلك كله بمبحث عن مسك الختام، والتعطر بذكر بعض صفات سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم، تيمنًا بالجمع بين المرسِل والمرسَل: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:٦٢]، واستبشارًا أن يختم الله تعالى لنا بخاتمة السعادة، فنقرن عند الموت بين الشهادتين، اللتين هما سبيل النجاة، ومفتاح الوصول إلى الله، وتخلقنا بفعل الله وما أمرنا به في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب زادًا يحفظ علينا الحياة، ويضمن لنا حُسْن الممات، ويكون سببًا في تحققنا عند الوحدة في القبر بالثبات، ومعينًا لنا يوم الحشر في الجواز على الصراط، وأهلاً لأن ننال به الفوز بشفاعة سيد الكائنات، وصولاً إلى شرف النظر إلى وجه الله الكريم في الجنات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

علي جمعة محمد

مفتي الديار المصرية



الفصل الأول

تمهيدات واصطلاحات

العقيدة :

العقيدة لغةً: من العَقْد وهو الرَّبط والإبرام والإحكام والتوثيق والشدُّ بقوَّةٍ، والعقد نقيض الحَلِّ، عَقَدَه يَعْقِدُه عَقْدًا وتَعْقادًا وعَقَّده.

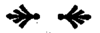
والعقيدة اصطلاحًا: ما عَقَد الإنسان عليه قلبه جازمًا به، سواء كان حقًّا أو باطلاً.

والعقيدة هي المحرك إلى العمل. كعقيدة المسلم في وجود الله وصدق الرُّسُل.

حاجة الإنسان إلى العقيدة :

هل عاش الإنسان يومًا بدون أيدلوجية أو عقيدة دينية تحركه؟

إن التاريخ الإنساني على مستوى المكان والزمان ليثبت أن الإنسان لم يكن يومًا فردًا أو جماعة يسير في الأرض بلا دين أو بعقيدة أو أيدلوجية تحركه وتؤثر في سلوكياته وأفعاله.



العقيدة الإسلامية :

هي الإيمان الجازم بأن خالق السموات والأرض هو الله رب العالمين، وأنه إله واحد متصف بكل الكمالات، منزه عن كل النقائص، ليس كمثله شيء، وأن محمدًا نبيه ورسوله إلى العالمين كافة، بلغ رسالته على أكمل وجه وأتمه، وأن القرآن كتابه الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن ما أخبر به من الغيب حق، فالملائكة حق، والنبيون حق، والجنة حق، والنار حق.

بحيث يحرك هذا الإيمان صاحبه بأن يلتزم بأحكام شريعة الإسلام ويتبع أوامر الكتاب والسنة.

علم التوحيد:

التوحيد لغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد.

والتوحيد شرعًا: يعنى إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته، والتصديق به ذاتًا وصفاتًا وأفعالاً، وأن ليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى، وأن ذاته لا تقبل الانقسام لا فعلاً ولا وهمًا ولا فرضًا مطابقًا للواقع، ولا تشبه صفاته الصفات، فلا تعدد فيها من جنس واحد كأن يكون له تعالى قدرتان أو إرادتان أو علمان مثلاً، ولا يدخل أفعاله الاشتراك، إذ لا فعل لغيره سبحانه خلقًا، وإن نسب إلى غيره الفعل كسبًا.

وقد جمع أهل الحقيقة ما قاله المتكلمون عن التوحيد في مسألتين:

١- اعتقاد أن كل ما تُصَوِّرَ في الأوهام فالله بخلافه.

٢- اعتقاد أن ذاته تعالى ليست مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات.

والتوحيد اصطلاحًا: هو الفن المدون، وهو العلم الذي يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، مكتسب من أدلتها اليقينية.

وموضوع علم التوحيد: ذات الله تعالى من حيث ما يجب له وما يستحيل وما يجوز، وذات الرسل كذلك، والممكن من حيث إنه يتوصل به إلى وجود صانعه، والسمعيات من حيث اعتقادها والإيمان فيها.

وثمرته: معرفة الله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية.

وفضله: إنه أشرف العلوم لكونه متعلّقًا بذات الله تعالى وذات رسله وما يتبع ذلك، والمتعلّق يشرف بشرف المتعلَّق به.

وحكم الشارع فيه: الوجوب العيني على كل مكلف من ذكر وأنثى.

حتمه الشارع وأوجبه، ولم يرخص في تركه لقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

والواجب فيه هو معرفة العقيدة ولو إجماليًّا، وأما معرفتها تفصيليًّا ففرض كفاية.

مباحث علم التوحيد :

إلهيات: مسائل تتعلق بالإله.

ونبويات: مسائل تتعلق بالأنبياء والمرسلين.

وسمعيات: مسائل لا يمكن الاستدلال عليها إلا عن طريق السمع والخبر.



أقسام الدليل :

عقلي محض: الدليل العقلي هو ما أدركه العقل في محل الاستدلال، كالاستدلال بخلق السموات والأرض وخلق أنفسنا على وجود الخالق سبحانه وأنه عليم قدير حكيم.

ونقلي: وهو المركب من العقلي والنقلي. إذ صدق الخبر إنما يثبت بالعقل. فالشيء الذي يثبت بالدليل النقلي هو الممكن من جهة العقل أي الذي لا يمتنع إثباته ولا نفيه.

والدلائل النقلية قد تفيد القطع في الشرعيات لقرينة مشاهدة أو تواتر، وفي إفادتها القطع في العقليات نظر، إذ لو وجد معارض عقلي قُدِّمَ، إذ إبطال الأصل وهو العقل بالفرع وهو النقل إبطال لهما.



أقسام المعلوم :

قالت الحكماء: ما يصح أن يعلم إما معدوم لا تحقق له بوجه ما. وإما موجود في الذهن بهوية شخصية، وإما موجود خارجي.

والموجود الخارجي إما واجب لا يقبل العدم لذاته أو ممكن.

قال المتكلمون: الموجود ما له تحقق في الخارج، وهو إما قديم لا أول له أو حادث.

والحادث منقسم إلى متحيز مشار إليه بالذات بهنا وهناك وهو الجوهر. أو حالٌّ فيه أي مختص بالجوهر متحد به وهو العرض.

الممكن :

هو المحوج إلى السبب ضرورة، ولا يكون أحد طرفيه وهما الوجود والعدم أولى به لذاته. فالممكن حادث ولا يكون إلا حادثًا، وإثبات القدم للممكن يمنع تأثير الفاعل المختار فيه، لسبق القصد إلى إيجاده.

الواجب :

الوجوب الذاتي هو الوجوب الثابت لله عز وجل وحده، وهو ينافي التركيب؛ لأن التركيب يلزم منه الإمكان والحدوث والحاجة إلى الجزء، والجزء بداهة غير الكل.

وينافي الوجوب الذاتي الزيادة على الماهية، وينافي الشركة؛ لأن الزيادة على الماهية أو المماثلة والمشاركة يلزم منهما التركيب أيضًا، لأن الشريك يماثل شريكه من جهة ويتمايز عنه من جهة، فإن كان فهما مركبان.

والله تعالى منزه عن المثل والند تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، فلا مثل له، ولا تركيب فيه. ويتصف بالوجوب والحياة والعلم والقدرة التامين.

ولو شاركه غيره في الذات لخالفه بالتعين ضرورة الإثنينية، وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيلزم التركيب، وهو ينافي الوجوب الذاتي.

ولا ينافي الوجوب الذاتي لله عز وجل وجوب صفاته وقدمها، ولا يلزم من ثبوت وجوب صفاته احتياج الواجب إلى الغير؛ لأن صفاته ليست غيره.

حدوث العالم :

الحدوث هو المسبوقية بالعدم.

والعالم هو كل موجود سوى الله تعالى.

والعالم مكون من جواهر وأعراض.

والجواهر كل ما استغنى عن المحل.

والأعراض هي كل ما يطرأ على الجواهر فتقبله كالألوان والطعوم والروائح والحياة والموت والإرادة والقدرة والعلم.

الدليل على حدوث العالم :

الموجودات تنقسم إلى قديم وحادث :

القديم: هو الموجود الذي لا أول لوجوده، وهو واجب الوجود، والقديم يستحيل عليه العدم؛ لأن القدم ينافي العدم.

الحادث: هو الموجود الذي له أول. وهو جائز الوجود والعدم، ولما اختص بالوجود الممكن بدلاً من العدم الجائز افتقر إلى مخصِّص، والمخصِّص هو الصانع المختار الموصوف بالاقتدار والإرادة.

وإن ما لا يخلو عن الحادث فهو حادث.

وكل جسم في العالم لا يخلو من الأعراض الحادثة والأحوال المتغيرة.

فتتغير الصفات على الأجسام، وتخرج من حال إلى حال، وحقيقة التغيرات أن تبطل حالة وتحدث أخرى، فأما الحالة التي حدثت فحدوثها معلوم بالضرورة والمشاهدة، وأما الحالة التي بطلت فلو كانت قديمة لم تبطل.

فيجب الإيمان والاعتقاد بأن العالم بجميع أركانه وأجسامه وما يشتمل عليه من أنواع النبات والحيوانات وجميع الأفعال والأقوال والاعتقادات كلها مخلوق كائن عن أول، حادث بعد أن لم يكن شيئًا ولا عينًا ولا ذاتًا ولا جوهرًا ولا عرضًا.

وجود الخالق :

إن الإيمان بوجود الخالق ركن العقيدة الأول، وهو القاعدة التي تبنى عليها مسائل العقيدة كلها، والإيمان بهذا الوجود هو السبيل إلى تحقيق الفهم الصحيح للخلق والمخلوقات ومعرفة معنى الوجود في هذا الكون.

إن الكون الذي نراه ونشاهده ممكن الوجود، بمعنى أن العقل لا يحيل وجوده ولا عدمه، فلا بد أن كان ثمة مؤثر خارجي رجح فيه الإمكان وأبعد العدم. وقد كان الكون في أصله قابلاً لكليهما بحد سواء، وهذا المؤثر هو الله عز وجل.

فكل عاقل بالمشاهدة والضرورة العقلية يقر بحدوث المخلوقات بعد العدم، والمحدَث لا بُدَّ له محدِث، وتسلسل المحدَثات ممتنع باتفاق العقلاء؛ والتسلسل هو أن يكون للمحدَث محدِث، وللمحدِث محدِث آخر إلى غير غاية، ولا يزول هذا التسلسل إلا بمحدِث أزليٍّ لا يحتاج إلى غيره، ولا يفتقر في وجوده إلى موجِد. وهذا هو الله واجب الوجود.

والواجب لا تركيب فيه، ولا كثرة فيه، بل هو واحد حقيقي.

فالموجودات لو كانت بأسرها ممكنة، أي لو لم يوجد الواجب لانحصرت الموجودات في الممكن، ولو انحصرت فيه لاحتاج الكل أي المجموع بحيث لا يشذ عنه شيء من أجزائه الممكنة إلى موجِد، لكون هذا الكل ممكنًا مركبًا من ممكنات.

وواجب الوجود مستقل في الإيجاد أي لا يستند وجوده إلى شيء، وهو خارج عن المجموع لا نفسه ولا داخلاً فيه.

قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٨]

والإتقان والحكمة المبثوثة في أرجاء الكون وفي تفاصيل الخلق لتجعل ممن ينسب الخلق إلى الصدفة أو إلى المادة والطبيعة مجنونا سفيها.

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السّجدة: ٧]

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤]

وقال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠]

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾ [النبأ: ٦ - ١٦]

وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ١٢]

وقال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]

وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]

ولقد استدل الخليل إبراهيم عليه السلام على حدوث الجواهر وإمكانها وأنها لا تصح إلهًا خالقًا؛ بما يطرأ عليها من التغير والتحول.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٩]

فكل مخلوق لا بد له من خالق؛ لأن الأجسام لو كانت قائمة بأنفسها مع تجانس ذواتها لم تكن تختلف بالصفات والأوقات والأحوال والْـمَحَالّ، فلما اختلفت علمنا أن لها مخصِّصا قَدَّم ما قدم وأخَّر ما أخر وخصَّ كل واحد منها بما اختص به من الصفات.

فمن المشاهد في الأنفس انقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما، ولا بد لهذه الأحوال الطارئة على النطفة من مؤثِّر صانع حكيم؛ لأن حدوثها لا من فاعل أو حدوثها بتأثير مؤثر غير عاقل أو حكيم أو مختار مُحَال.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٤٩-٥٠]

أي أعطى صورته الخاصة وشكله المعين المطابقين للحكمة والمنفعة المنوطة به، فالأجسام متماثلة متفقة الحقيقة لتركبها من الجواهر المتجانسة، وعليه فإن اختصاص كل منها بما له من الصفات جائز، فلزم وجود مخصص لها ببعض الصفات والأعراض المميزة.

أسلوب آخر للاستدلال على وجود الصانع :

إنه لا شك في وجود الممكنات المشاهدة كالمركبات، فإن استندت إلى الواجب ابتداء أو انتهت إليه فذاك، وإلا تسلسلت الممكنات، وهو محال.

وجميع الممكنات المتسلسلة إلى غير نهاية من حيث هو جميع ممكن؛ لاحتياجه إلى

أجزائه، التي هي غيره، فله علة موجدة ترجح وجوده على عدمه، لما عرفت من أن الإمكان محوج، وأن كل ممكن له علة مؤثرة.

وهي لا تكون نفس ذلك المجموع، إذ العلة متقدمة على المعلول، ويمتنع تقدم الشيء على نفسه. فيصح القول: كانت العلة فكان المعلول، بلا عكس.

وهي لا تكون مجموع أجزائه؛ لأنه عينه.

وهي لا تكون أيضًا جزءه؛ إذ علة الكل يلزم أن تكون علة لكل جزء فيه؛ لأن كل جزء ممكن ومحتاج إلى علة؛ ولأنه لو لم تكن علة المجموع علة لكل واحد من الأجزاء، لكان بعضها معللاً بعلة أخرى، فلا تكون تلك الأولى علة للمجموع، بل لبعضه فقط.

ولو كانت علة المجموع جزءا منه للزم أن يكون هذا الجزء علة لنفسه ولعلله أيضا، وهو باطل.

فإذا ثبت أن علة المجموع ليست نفسه ولا أمرا داخلا فيه، فهو أمر خارج عنه، والخارج عن جميع الممكنات واجب لذاته.

فالله عَلَمٌ على ذات الخالق واجب الوجود لذاته، وهو العلة التي يُنْتَهَى إليها، وهو **المستحق لجميع المحامد.**

والله هو صانع العالم، أزلي الوجود، قديم الذات، لا مفتتح لوجوده ولا مبتدأ لثبوته. فهو الموجود الحق لذاته الذي لا يقبل وجوده العدم، وهو القديم الذي لا بداءة لوجوده وهو الباقي الذي لا نهاية لوجوده.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]

وهو الحي العالم بجميع المعلومات، القادر على جميع المقدورات.

فجميع الأفعال المحكمة المتقنة الواقعة على أحسن ترتيب ونظام لا تصدر إلا من عالم بها.

والله هو الموجود الذي سبق وجوده كل وجود، فكان تعالى وحده ولا شيء معه، ثم خلق ما شاء من مخلوقاته.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]

وهو تعالى الغني بذاته عن جميع الموجودات، وهي المفتقرة كلها ابتداءً ودوامًا إليه سبحانه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [فاطر: ١٥-١٧]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢]

وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٧٧-٨٢]

أول الواجبات

والنظر في معرفة الله تعالى واجب إجماعا، إما بالسمع عند الأشاعرة وإما بالعقل عند المعتزلة.

فأول الواجبات هو المعرفة، ووسيلة تحصيلها النظر فهو واجب أيضا، والنظر لا يحصل إلا بالقصد إليه، فيكون القصد أيضا واجبا أولا.

والنظر هو الأداة أو المنهج المتبع في ترتيب أمور معلومة أو مظنونة للتأدي إلى أخر. أو هو تجريد الذهن عن الغفلات وتوجيه العقل نحو المعقولات. وصحيحه يفيد العلم ضرورة.

وعليه فإن التقليد في العقائد يعد عصيانًا وذنبًا لمن كانت عنده ملكة النظر وأهليته، وإلا فلا عصيان.

قال أبو منصور الماتريدي: وأجمع أصحابنا على أن العوام مؤمنون عارفون بربهم، وأنهم حشو الجنة. كما جاءت به الأخبار وانعقد به الإجماع، فإن فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدوث ما سواه، وإن عجزوا عن التعبير عنه باصطلاحات المتكلمين.

وحكى الآمدي الاتفاق على انتفاء كفر المقلد.

والخلاف الحاصل في إيمان المقلد وعدمه، إنما هو بالنظر لأحكام الآخرة، أما في أحكام الدنيا فلا خلاف في أنه يكفي فيها الإقرار الظاهر فقط، فمن أقر جرت عليه أحكام الإسلام ولم يحكم عليه بكفر، فيناكح ويؤم وتؤكل ذبيحته ويرثه المسلمون ويرثهم ويدفن في مقابرهم.

❖ ❖

الإيمان:

وهو التصديق بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة إجمالا وتفصيلا.

وما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الإسلام الذي لا نجاة لأحد إلا بالدخول فيه، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

ولقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠]

وعليه فلا نجاة لأحد عند الله تعالى إلا بالدخول في الإسلام.

قال تعالى: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٤-٨٥]

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢]

والإسلام هو دين الله الذي أرسل به جميع رسله.

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]

حكم النطق بالشهادتين:

القول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. واجب لصحة الإيمان على المتمكن منه القادر عليه.

وخرج بالقادر عليه الأخرس، فلا يطالب بالنطق.

وخرج بالمتمكن منه الذي اخترمته المنية قبل النطق به من غير تراخٍ، فهو مؤمن عند الله.

ولا يكفي إبدال لفظ "أشهد" بغيره وإن كان مرادفا له، لما في النطق به من معنى التعبد، ولا بد من ترتيب الشهادتين وموالاتهما.

ويصح إسلام من نطق بالشهادتين بغير العربية وإن أحسن العربية.

ولا يكفي النطق بكلمتي الشهادة إذا كان الناطق بهما لا يفهم أصل معناهما.

ويجب الإيمان والإقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالمين العرب والعجم.

والنطق بالشهادتين شرط في إجراء أحكام المؤمنين على صاحبها.

وهي التوارث والتناكح والصلاة خلفه وعليه والدفن في مقابر المسلمين ومطالبته بالصلاة والزكاة.

وذلك لأن التصديق القلبي وإن كان إيمانا إلا أنه باطن خفي، لا بد له من علامة ودلالة ظاهرة. فمن أقر بلسانه دون قلبه فهو منافق تجرى عليه أحكام المؤمنين في الدنيا وهو عند الله غير مؤمن، وذلك ما لم يطلع على كفره بعلامة ظاهرة بينه كالسجود لصنم أو إهانة المصحف.

وأما الآبي وهو الذي يُطْلَبُ منه النطق بالشهادتين فيأبى، فهو كافر في الأحكام الدنيوية وعند الله، ولا ينفعه أن صدق قلبه الإيمان.

ومن عرضت له شبهة وجب عليه أن يبادر إلى إزالتها بالنظر بنفسه أو بسؤال غيره من أهل العلم، لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]

وقوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن

كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧]

ومن وردت على قلبه خطرات ووساوس من دون شبهة فليستعذ بالله وليقل: آمنت بالله ورسوله.

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]

وأولاد المسلمين مؤمنون قطعا، وتجري عليهم الأحكام الدنيوية ولو لم ينطقوا بالشهادتين طول عمرهم.

حكم العمل بمقتضى الإيمان:

والعمل شرط كمال الإيمان، فمن أتى به فقد حصل كمال إيمانه، ومن تركه فهو مؤمن فوت على نفسه كمال الإيمان، وذلك ما لم يكن مستحلا لترك العمل، أو معاندًا للشارع، أو شاكًا في مشروعية ما علم من الدين ضرورة، فإنه إن فعل فهو كافر.

والإيمان يزيد بزيادة الطاعة والعبادة وينقص بنقصانهما، ويستثنى من ذلك إيمان الأنبياء فهو يزيد ولا ينقص.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤]

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤]

ولله تعالى وحده الحق في التكليف بالأمر والنهي في ضوء الإيمان به وبالعبودية له.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

ولقد جاءت تكاليف الله تعالى في حدود الاستطاعة الإنسانية، ولذلك استثنى الشارع المجنون والنائم والناسي والصبي من التكليف لعدم كونهم عاقلين للمأمور به، وقد تولى الله تعالى رعاية المكلفين بلطفه وتيسيره فأعطاهم فوق الكفاية وكلفهم دون الطاقة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠]

قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

قال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [المائدة: ٦]

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

وليس هذا وجوبًا على الله تعالى ولكن الله له أن يفعل ما يشاء وله أن يكلف عباده بما يريد، ولكنه تعالى لم يفعل ذلك لكمال رحمته وعدله.

حكم أهل الفترة :

وأهل الفترة هم من كانوا بين أزمنة الرسل، أو في زمن الرسول ولم يرسل إليهم، وهم ناجون وإن بدلوا وغيروا.

واتفق جمهور المسلمين على أنه لا شرع قبل بعثة الرسل ولا تكليف، وأن أهل الفترة الذين انقطعوا عن خبر الأنبياء السابقين وبعثة خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام ليسوا مؤاخذين ولا مكلفين.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]

وعليه فإن آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأمهاته ناجون؛ لأنهم من أهل الفترة،

وجميع آبائه محكوم بإيمانهم ولم يدخلهم كفر ولا رجس ولا عيب.

قال تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٩]

وقال صلى الله عليه وسلم: "لم أزل أنتقل من الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات". (١)

فنسب النبي صلى الله عليه وسلم طاهر شريف من بدايته إلى منتهاه، اصطفاه الله من ذرية آدم وإبراهيم عليهما السلام.

قَالَ وَاثِلَةُ بْنُ الأَسْقَعِ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». (٢)

وفي رواية للحاكم في مستدركه عن ابن عمر رضي الله عنهما زيادة: "فَأَنَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ خِيَارٍ إِلَى خِيَارٍ، فَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ". (٣)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ، وَمَا وَلَدَنِي إِلا نِكَاحٌ كَنِكَاحِ الإِسْلامِ". (٤)

١- أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/٤٠٨)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٢٨) ونسبه إلى أبي نعيم في دلائل النبوة عن ابن عباس.

٢- أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٢، حديث ٢٢٧٦).

٣- أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٨٣، حديث ٦٩٥٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٥٥، حديث ١٣٦٥٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٣٩، حديث ١٣٩٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١٥): فيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به وبقية رجاله وثقوا.

٤- أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٦١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣٢٩، حديث ١٠٨١٢)، والبيقهي في سننه الكبرى (٧/ ١٩٠، حديث ١٣٨٥٤).

وكان نسب النبي صلى الله عليه وسلم في أشراف العرب، وفي البيوت ذات العز والشرف والعدد، حتى قيل: إن أمه هاجر القبطية أم إسماعيل بن إبراهيم كانت بنت ملك من ملوك منف.

وَعَنْ سِيَابَةَ بْنِ عَاصِمٍ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ينادي في الجموع: **"أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ "**[1]؛ أي الطاهرات.



الخطيئة والتوبة:

إن الله خلق آدم وحواء، وأسكنهما الجنة، وأمرهما بتجنب الأكل من شجرة فيها، فوسوس لهما الشيطان وأغواهما حتى عصيا، وأكلا من الشجرة، فبدت لهما سوءاتهما بعد أن كانت مستورة، وعلما الحكمة الإلهية من وراء تكليف الله لهما، وهي تحقيق المصلحة لهما وتفويت الضرر عنهما.

وكانا في فعلهما مشتركين متساويين، ولم تكن حواء أقل عزما على الطاعة أو أكثر جنوحا للمعصية من آدم، ولم تكن صاحبة غواية له لولاها لصدق وأطاع.

ثم استغفرا وتابا وأنابا إلى ربهما وقَبِلَ الله هذه التوبة وعفا عنهما، وكرم بني آدم، وأسكنهم الأرض.

قال تعالى عن آدم: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة: ٣٠]

ومن تكريم الله عز وجل لآدم أسجد له ملائكته، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٣٤]

وعصى آدم ربه ثم تاب فتاب الله عليه وعفا عنه، قال تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ

---

١ - أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣٥١، حديث ٢٨٤١)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٦٨، حديث ٦٧٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١٩) ورجال الطبراني رجال الصحيح.

لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢١-١٢٢]

وقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]

وعن هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ليتوب عليهما ويغفر لهما قال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]

وكرم تعالى ذرية آدم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]

ويقبل تعالى توبة عباده، والتوبة تقبل قطعًا، فلا يشكن تائب في قبول توبته، قال تعالى عن ذاته: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى: ٢٥]

وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢-٣]

وروى البخاري عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلاً، وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي. فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ**».[1]

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: « **قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِى وَاللَّهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلاَةِ وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ**

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٢٤، حديث ٥٩٤٩).

تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ». (١)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

وعَنْ أَنسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ ». (٢)

فالإنسان في منظور الإسلام يولد مبرأ من كل ذنب وخطيئة، ولا يورث الله عز وجل أحدًا من عباده خطيئة غيره.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]

قال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم: ٣٦-٤١]

ثم يعصي الإنسان ربه ثم يتوب إليه، فيتوب الله عليه، ويغفر الله للإنسان كل ذنب مهما عظم إلا الشرك به.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٣٥]

١- أخرجه البخاري في صحيحة (٦/ ٢٦٩٤، حديث ٦٩٧٠)، ومسلم في صحيحة (٤/ ٢٠٦١، حديث ٢٦٧٥) واللفظ له.

٢- أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٩٨، حديث ١٣٠٧٢)، والترمذي في سننه (٤/ ٦٥٩، حديث ٢٤٩٩) وقال: حديث غريب، وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٢٠، حديث ٤٢٥١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]

وأوجب الله تعالى على عباده التوبة من جميع المعاصي على الفور، فلا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم: ٨]

وقال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴾ [هود: ١-٣]

وقال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ [هود: ٩٠]

والتوبة هي:

الإقلاع عن الذنب

ثم الندم على فعله

ثم العزم على عدم العود إلى الذنب أبدًا.

فإن تعلق الذنب بحق آدمي آخر وجب رد المظلمة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منه. فإن لم يستطع العاصي بأن كانت مظلمته مستغرقة في الذمم فالمطلوب كثرة التضرع إلى الله لعله يُرْضِي خصماءه يوم القيامة فيعفو عنه.

وتوبة العبد الصادق مقبولة إن شاء الله ما لم يغرغر، والغرغرة هي حالة نزاع الروح وخروجها، وما لم تطلع الشمس من مغربها، فإنها علامة على إغلاق باب التوبة.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

وقال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩٠-٩١]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ».[١]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ».[٢]

وإسلام الكافر يَجُبُّ ما قبله، فإيمانه محي كفره، وإيمانه هو عين توبته من الكفر.

عن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ الإِسْلاَمَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا ». قَالَ عَمْرٌو: فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لأَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَمَا مَلأْتُ عَيْنِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَلاَ

١- أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٣٢، حديث ٦١٦٠)، والترمذي في سننه (٥/ ٥٤٧، حديث ٣٥٣٧)، وقال: حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٩٥، حديث ٦٢٨).

٢- أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤١٩، حديث ٤٢٥٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٥٠، حديث ١٠٢٨١)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/ ١٥٤، حديث ٢٠٣٤٨)، وقال في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٠): رجال الطبراني رجال الصحيح إلاَّ أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه.

رَاجَعْتُهُ بِمَا أُرِيدُ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيَاءً مِنْهُ. (١)

الوعد والوعيد:

نعتقد أن الله منجز وعده، أي يعطي مَنْ أراد به خيرا مَا وَعَدَهُ به على لسان نبيه أو في كتابه. ولا نُجَوِّزُ أن يتخلف وَعْدُ الله أبدًا.

فَوَعْدُ اللهِ المؤمنين الجنةَ لا يتخلف شرعًا قطعًا؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩]

وقال تعالى: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٦]

لأنه لو تخلف إعطاءُ الموعودِ به للزم الكذب والسفه والخُلْفِ، واللازم باطل فكذا الملزوم، فالخُلْفُ في الوَعْدِ نَقْصٌ يجب تنزيه الله عنه.

وأما الوعيد فيجوز الخُلْفُ فيه؛ لأن الخلف فيه لا يعد نقصًا، بل يعد كرمًا يمتدح به، كما قال الشاعر :

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَمُخْلِفٌ إِيعَادِي وَمُنْجِزٌ مَوْعِدِي

فالكريم إذا أخبر بالوعيد، فاللائق بكرمه أن يبني إخباره به على المشيئة وإن لم يصرح بها، فإذا قال الكريم: لأعذبن زيدا. مثلاً، فنيته إن شئت.

بخلاف الوعد، فإن اللائق بكرمه أن يبنى إخباره به على الجزم.

ولا يلزم من ذلك الكذب في خبره تعالى.

ولا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩]

١- أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٠٤، حديث ١٧٨٤٦) واللفظ له، والبيهقي في سننه الكبرى (٩/ ١٢٣، حديث ١٨٠٦٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٥١): رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات.

فالآية محمولة على أن الممنوع تبديل القول في وعيد الكفار، أو فيمن لم يُرِدْ الله عنه عفوًا.

الذكر والدعاء:

فضل ذكر الله تبارك وتعالى:

لذكر الله تعالى فضلٌ عظيمٌ، وثوابٌ جزيلٌ، وفيه خير كثير، وهدى ونور، وشفاء للصدور، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]

وقال: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ ﴾ كلمة واحدة عليها قوام الدنيا وصلاحها، وعليها قوام سعادة الإنسان وطمأنينة قلبه، وبها تتأكد الصلة بين الخالق والمخلوق، ومن خلالها يغرق الإنسان في بحر من النور فيكون غريق النور، وليس غريق الفساد والظلمة ولا غريق الاغترار والمعصية.

وقال: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥].

قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

فَذِكْرُ العبدِ ربه يكون باللسان وبالجنان وبالجوارح، يحصل الأول بالنطق بما يدل على تنزيهه تعالى وتمجيده وتعظيمه وتحميده. ويحصل الثاني بالتفكر في دلائل وحدانيته تعالى في ذاته العلّية وصفاته السنية وأفعاله الحكيمة، وفي دلائل التكاليف الإلهية بالأوامر والنواهي، وفي الوعد والوعيد، والمثوبة والعقوبة حتى يكون العبد على يقين في دينه اعتقادات وأعمالًا، فيُقْبِلُ على الطاعات، ويُحْجِمُ عن المحظورات ببصيرة نافذة، وإخلاص تام، وقلبٍ سليمٍ وعلمٍ يقين، ويحصل كذلك بالتفكر في عِظَمِ المخلوقات وما فيها من أسرار ودلائل وحكم، حتى يعلم قدرة صانعها وحكمته، ويُشْرِقَ في قلبه نور العلم والمعرفة، والحكمة والهداية. وأما الثالث فيحصل بالاستغراق في فعل الطاعات مع

اجتناب جميع المنكرات فلا يشغل جوارحه بغير ما فيه رضا مولاه.

وأما الذكر من الله تعالى لعباده الذاكرين فيحصل بمنحهم الخيرات والكرامات، والإحسان إليهم بالمثوبات، وبإجابة الدعاء واللطف في القضاء، وبالهداية والكفاية وبالرحمة والرضوان، والعفو والغفران جزاء ذكرهم له وطاعتهم إياه وإنابتهم إليه، وصدقهم في العبودية له تعالى.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

أي اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة وإعطاء الآلاء والنعماء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

أي اذكروني بالإحسان أذكركم بالرحمة والغفران.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

أي اذكروني بالاستغفار أذكركم بالغفران.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]

أي اذكروني بالصبر أذكركم بأوفى الأجر.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣].

أي اذكروني بالتوكل أذكركم بالكفاية.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أي اذكروني بالمجاهدة والعمل أذكركم بالهداية والتوفيق.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧١].

أي اذكروني بطاعتي وطاعة رسولي أذكركم بمعونتي وجنتي.

وذكر الله تعالى سواء كان تحميدا أو تسبيحا أو تهليلا أو تفكرا في آلاء الله وعظمته وسلطانه أو كان بإقبال قلب العبد على خالقه وفراغه عمن سواه فإنه من أعظم القربات وأجل العبادات.

قال تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

قال تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حدًّا معلومًا، وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإنه لم يجعل له حدًّا يُنْتَهَي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فلذلك أمرهم به في كل الأحوال فقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء:١٠٣]

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

أي بالليل والنهار، وفي البر والبحر، وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلانية.[1]

وجَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: **«طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ»**. فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فقَالَ: **«أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ»**.[2]

وبذكر الله تطمئن القلوب، وتسكن وتتقشع عنها ظلمات الجهالة وغشاوات الغواية والضلالة، ويشعُّ فيها نور العلم والعرفان والحكمة والهداية قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

١- انظر تفسير البغوي (٣/ ٥٣٤).

٢- أخرجه البغوي في شرح السنة، وقال: هذا حديثٌ حسن، وأخرجه أبو نعيم في الحلية: (٦/ ١١١) مختصرًا، وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (٣/ ٥١).

وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

والمسلم بذكره لله تعالى ينال معيته ورضاه وذكره.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « **يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** ».[1]

وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "قال الله جل وعلا: عبدي عند ظنه بي، وأنا معه إذا دعاني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وأطيب".[2]

وعن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: « **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**».[3]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

أي: إذا ألَمّ بهم شيء قليل من وسوسة الشيطان بفعل المعاصي أو ترك الطاعات، تذكروا الله وعقابه للعاصين ومثوبته للطائعين، فإذا هم مبصرون الحق، فيرجعون إلى طاعة الله وما يرضيه، تاركين ما يغضبه من معاصيه.

والذكر هو شأننا وحالنا مع كلام ربنا، وما ينبغي أن نفعله معه أن نجعله كتاب

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٦٩٤، حديث ٦٩٧٠).

٢- أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/ ٩٥، حديث ٨١٢).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٧٣٦)، معلقًا، ووصله أحمد في مسنده (٢/ ٥٤٠، حديث ١٠٩٨٨)، وابن ماجه في سننه (٦/ ١٢٤٦، حديث ٣٧٩٢).

هداية لنا ومحلاً للتدبر والتفكر، ومحلاً لتحويل أوامره سبحانه وتعالى ونواهيه إلى واقع نعيشه، ونتأمل في هذه الأوامر وتلك النواهي، وذلك حتى نسعد مع السعداء بنور هداية الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

والعمل بمقتضى هذه الآية يستلزم منَّا أن نظل في ذكر دائم لله عز وجل على الدوام، حتى إذا بغتنا الموت في أية لحظة كنا على الإسلام، فإن نحن غفلنا عن الذكر طرفة عين لم نكن قائمين بهذه الآية.

وفي الإعراض عن ذكر الله تعالى حرمان الخير كله، من هذه الثمرات العظيمة، وبلاء عظيم، وشر جسيم.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٧].

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن: ١٧]

عذابًا شديدًا شاقًّا موجعًا مؤلمًا.

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩]

وأما الدعاء فهو الطلب على سبيل التضرع.

وقيل: هو رفع الحاجات إلى رافع الدرجات ينفع الأحياء والأموات إن دعوت لهم. ويضرهم إن دعوت عليهم.

ودعاء العبد ربَّه ينفعه، والدعاء ينفع وإن صدر من كافر.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِراً فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**». [1]

فالدعاء هو استمداد العبد المعونة من ربه وخالقه، وتتضمن اعترافا بالعبودية لله الواحد القهار، وإقرارا بالحاجة إليه، والتضرع والافتقار إلى عطائه ومدده، وتتضمن كذلك براءة العبد من حوله وقوته، ودخولا في حول العزيز وقوته.

والدعاء أعظم مقامات العبودية لله تعالى، وفيه معنى الثناء عليه، وإضافة الجود والكرم إليه.

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف: ٥٥]

وقال تعالى: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: ١٤]

وقال: ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء: ٣٢].

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]

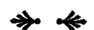
ولكن إجابة الدعاء تتنوع، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع متأخرًا لحكمة، وتارة تقع الإجابة بغير المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة، وفي ذلك الغير مصلحة ناجزة، والإجابة مقيدة بالمشيئة دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٤١]

---

١ - أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٥٣، حديث ١٢٥٧١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٢): رواه أحمد وأبو عبد الله الأسدي لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح

فإن قوله "إن شاء" مقيد لإطلاق الآيتين السابقتين.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِى مَسْأَلَةٍ إِلاَّ أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَهَا لَهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ».(١)

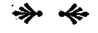


فضل الدعاء:

جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة أو هو لبُّ العبادة، والدعاء هو الدليل الأكبر على الإيمان بالله تعالى، وهو الدليل كذلك على حسن التوكل على الله وكمال الثقة به.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ».(٢)

وفي رواية: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةِ".(٣)



مواطن قبول الدعاء:

فعلى الإنسان المسلم أن يلتمس الدعاء في الزمان والمكان وعند الأشخاص وعند الأحوال التي عسى الله أن يستجيب له فيها.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ كُلَّهُ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ

١- أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٤٨، حديث ٩٧٨٤)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٤٨، حديث ٧١١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٤، حديث ١٨٢٩)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٣، حديث ١١٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٨): رواه أحمد ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

٢- أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٤٥٦، حديث ٣٣٧١)، وقال: حديث غريب، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٢٩٣، حديث ٣١٩٦).

٣- أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٣٧٤، حديث ٣٢٤٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

عِبَادِهِ؛ وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ وَيُؤَمِّنَ رَوعَاتِكُمْ". [(١)]

والله جل وعلا قد دلنا على كيفية الدعاء، وعلى زمان الدعاء، وعلى مكان الدعاء، وعلى أولئك الذين يستجيب الله لهم الدعاء، وعلى الأحوال التي يستجيب الله عندها الدعاء.

فالله يستجيب الدعاء عند نزول المطر، والله يستجيب الدعاء عند ملاقاة العدو في الجهاد في سبيل الله، والله يستجيب الدعاء من الصالحين الذين انقطعوا بقلبهم لله عز وجل فكانت الدنيا في أيديهم وخرجت من قلوبهم فخرج منها الوهن.

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ فِى أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ: عِنْدَ الْتِقَاءِ الصُّفُوفِ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَعِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ، وَعِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ ».[(٢)]

ويستجاب كذلك الدعاء في الأماكن الطاهرة المباركة، فيستجاب لمن أتى البيت الحرام ملبيًا مستجيبًا لنداء ربه قاصدًا وجهه طالبًا مرضاته معلنًا بحمده معترفًا بنعمته وربوبيته راجيًا هدايته قائمًا بشكره وراغبًا في مزيده.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧]

وجعل الله عز وجل في الجمعة ساعة إجابة، وأخفاها تعالى في اليوم حتى نملأه بالدعاء والعبادة.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: « فِيهِ

١- أخرجه الطبراني في امعجم الكبير (١/ ٢٥٠، حديث ٧٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢، حديث ١١٢١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١٦٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٣١): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

٢- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٦٩، حديث ٧٧١٣)، والبيهقي في سننه الكبرى (٣/ ٣٦٠، حديث ٦٢٥٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٥): رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان وهو مجمع على ضعفه.

سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا.(١)

وفهم الصحابة من كلمة يصلي عموم الصلة بالله، سواء أكان يقف مصليًا في ركعتين أو أربعة، في فرض أو نفل، أو كان بعد صلاة قد جلس يذكر الله، أو كان في حالة صلة وحالة دعاء.

والدعاء في كل حال ووقت يجب الإخلاص فيه لله تعالى وحده، فهو الذي يكشف السوء ويجيب المضطر ويدفع البلاء، ويمنح الخيرات والنعماء، قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢- ٣].

وندعو الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وبغيرها من أسمائه العليَّة، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٠]

نماذج لما ورد في آيات الله عز وجل من الدعاء:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة: ٢٠١].

قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٣- ١٩٤].

١- أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣١٦، حديث ٨٩٣)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٥٨٤، حديث ٨٥٢).

قال تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

قال تعالى: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨].

قال تعالى: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤٠-٤١].

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم: ٨].

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة:٥].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

والدعوة إلى الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على جماعة المسلمين كفاية، إذا قام به البعض سقط وجوبه على الباقين.

قال تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]

ولوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط :

١- أن يكون المتولي لذلك عالمًا بما يأمر به وينهى عنه، فالجاهل بالحكم لا يحل له الأمر ولا النهي، وليس للعوام أمر ولا نهي فيما يجهلونه.

٢- أن يأمن أن يؤديَ إنكاره إلى منكر أكبر مما ينهي عنه، كأن ينهى عن شرب الخمر فيؤدي نهيه عنه إلى قتل النفس.

٣- أن يغلب على ظنه أن أمره بالمعروف مؤثر في تحصيله، وأن نهيه عن المنكر مزيل له.

٤- ويشترط في إنكار المنكر أن يكون معلومًا كونه منكرًا بغير اجتهاد، فكل ما هو في محل الاجتهاد، فلا حسبة فيه.

وروى أبو نعيم في الحلية عن الإمام سفيان الثوري قوله: إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اخْتُلِفَ فيه، وأنت ترى غيره، فلا تنهه.

الإمامة :

ويجب شرعًا نصب إمام عدل، وهذا واجب على الأمة.

واتفقت الأمة بجميع طوائفها على وجوب نصب إمام للمسلمين، وطريق الوجوب السمع وإجماع الصحابة من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تنصيب إمام.

ووجه وجوب الإمامة شرعًا أن الله عز وجل أمر بتكاليف على الأمة لا تتم إلا بإمام يَرْجِعُ إليه أفرادهم.

ويشترط في الإمام:

١- الإسلام.

٢- العدالة.

٣- البلوغ والعقل؛ لأن الصبي أو المجنون لا يليان أمر نفسهما، فلا يليان أمر غيرهما.

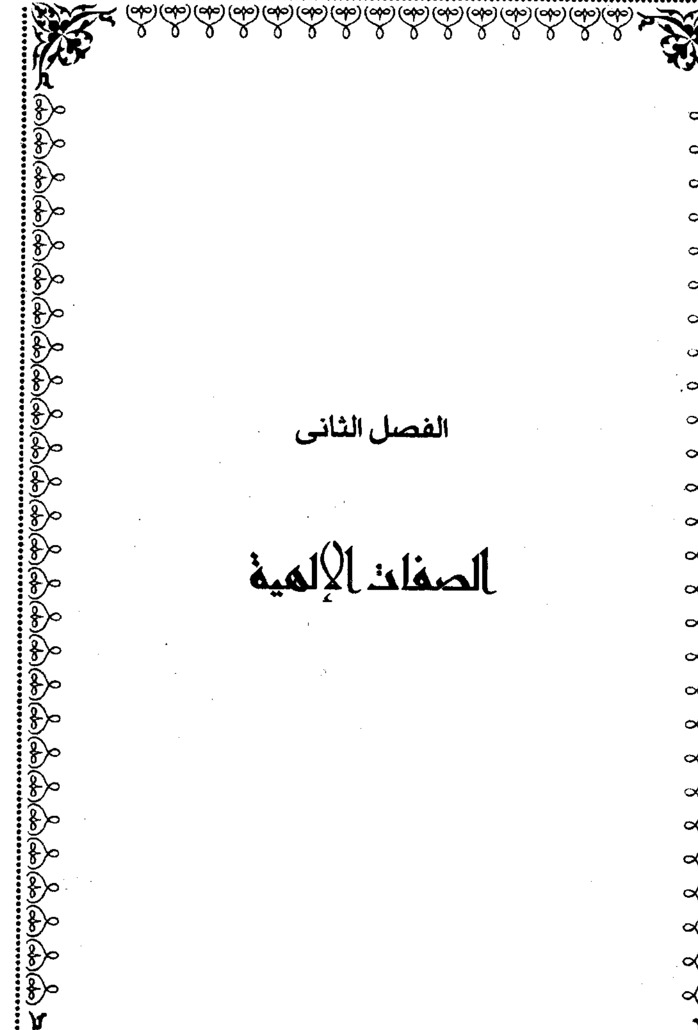
٤- الحرية؛ لأن الرقيق مشغول بخدمة سيده، ولا يهابه الناس.

٥- الصلاح أو عدم الفسق؛ لأنه لا يوثق بالفاسق في أمره ونهيه.

وطاعة الإمام واجبة على أفراد الأمة فيما يأمر به من معروف أو ينهى عنه من منكر.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]

والإمام خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس خليفة عن الله، والإمامة سبيلها الاختيار والشورى بين المسلمين، وأهل السنة على أن الإمامة لم تكن بنص أو توقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد بعينه، إذ لو كان نصا لوجب اشتهاره، واتفق أهل السنة كذلك أن الأئمة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الفاروق ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وصحت إمامتهم جميعًا عند أهل السنة ببيعة الصحابة لهم والإجماع عليهم.



الفصل الثانى

الصفات الإلهية

العلاقة بين الذات والصفات:

إن الصفات زائدة على الذات، وإلا لكان المفهوم من العلم ومن القدرة واحدا.

ولا يلزم من نسبة صفات متعددة زائدة إلى ذات واحدة الكثرة في ذات الله تعالى، لأن الزيادة على الذات أو الماهية لا تحصل إلا من جهة مفهوم الصفة لا ما صدقت عليه الصفة، فالوجود مثلا يعقل ويتصور دون الماهية وبالعكس، ولكن زيادته من حيث مفهوم الوجود وعنوانه لا ما صدق عليه الوجود.

والمخالفة بين كل موجودين تثبت بمخالفة ذاتيهما، وذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات، والمخالفة بينه وبينها لذاته المخصوصة لا لأمر زائد عليها، فالمخالفة بين كل موجودين من الموجودات إنما هي بالذات، وليس هناك ثمة اشتراك بين ذاته تعالى وذات غيره في الحقائق إلا في الأسماء والأحكام دون الأجزاء المقومة.

فالله تعالى منزه عن المثل المشارك في تمام الماهية تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فإنه تعالى لو شاركه غيره في الذات والحقيقة لخالفه بالتعين ضرورةَ الإثنينية؛ فإن المتشاركين في تمام الماهية لا بد أن يتخالفا بتعين وتشخص حتى تمتاز به هويتهما ويتعددا، ولا شك أن ما به الاشتراك غير ما به الامتياز، فيلزم التركيب في هوية كل منهما، وهو ينافي الوجوب الذاتي الحاصل لذاته تعالى.



أقسام الصفات :

الصفات الإلهية إما حقيقيةٌ محضة كالوجود ولا يجوز نسبة التغير فيها مطلقًا، وإما ذاتُ إضافةٍ كالعلم والقدرة ولا يجوز أيضًا التغير فيها وإنما يجوز التغير في تعلقاتها، وإما إضافيةٌ ككون الشيء قبل غيره أو بعده أو معه، وهي أمور اعتبارية لا وجود لها في الخارج، كالمعية والقَبْلِيَّة، ولذلك فإن تغيرها لا يوجب تغيرا في الذات ولا في صفة حقيقية منها، وتغير الإضافات لا محيص عنه.

وكل ما يورده المتكلمون من رسوم وتعاريف لصفاته تعالى أو لذاته نوقن أنها مجرد تعابير لا تعتبر حدا حقيقيا لذاته أو صفاته، فسبحانه لا يعلم كنه ذاته أو صفاته على الحقيقة إلا هو.

ما يستحيل نسبته إلى الله من صفة :

وكل ما يدل على الحدوث أو يسم صاحبه بالنقص فالله منزه متقدس عنه.

فلا يتصف سبحانه بشيء من الأعراض المحسوسة كالطعم واللون والرائحة والألم، وكذا اللذة الحسية، وأما اللذة العقلية فجوزها الحكماء بناء على أنه أدرك الملائم وهو أيضا مدرك لكماله.

والله تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بالمحاذاة، فلا تحيط به الأقطار، ولا تكتنفه الأرض ولا السماء، ويجل عن قبول الحد والمقدار.

فكل مختص بجهة شاغل لها متحيز فيها، وكل متحيز قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها، وكل ما يقبل الاجتماع والافتراق مع الجواهر فهو لا يخلو عنها، وما لا يخلو عن الاجتماع والافتراق حادث كالجواهر. وعليه فهو متعال عن المكان وعن مماسة الأجرام والأجسام.

فنحن نؤمن أن خالق العالم لا يجوز عليه الحد والنهاية؛ لأن الشيء لا يكون مخصوصا بحد إلا أن يخصه بذلك الحد، ويقرره على تلك النهاية بجواز غيره من الحدود عليه، والصانع لا يكون مصنوعا ولا محدودا ولا مخصَّصا.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧]

ولا يجوز أن يُنْسَبَ إلى الله عز وجل حقيقة الحركة والسكون، والذهاب والمجيء،

والكون في المكان، والاجتماع والافتراق، والقرب والبعد من طريق المسافة، والاتصال والانفصال، والحجم، والجرم، والصورة، والحيز، والمقدار، والنواحي، والأقطار، والجوانب، والجهات.



صفات الذات الإلهية

وهي الصفات القائمة بذاته تعالى، وهي صفات المعانيَ السبع أو الثمان على الخلاف في ذلك، وهي قديمة كأسمائه.

إذ لو كانت حادثة للزم قيام الحوادث بذاته تعالى، وللزم كونه تعالى عاريا عنها في الأزل، وللزم افتقارها إلى مخصِّص، وهو ينافي وجوب الغني المطلق، وهو انتفاء الحاجات مطلقا.

وكذلك فالصفات السلبية قديمة أزلية.

بينما صفات الأفعال فليس شيء منها قديم، وذلك مذهب الأشاعرة.

وكلها ليست بعين الذات ولا بغيرها، والمراد بنفي العينية ظاهر؛ لأن من المعلوم أن حقيقة الذات غير حقيقة الصفات، وإلا لزم اتحاد الصفات والموصوف وهو لا يعقل.

وأما نفي الغيرية فالمراد به نفي الغير المنفك، لا مطلق الغير، فهي ليست منفكة عن الذات، وكذا فإن حقيقتها غير حقيقة الذات.

ومن توجه بعبادة إلى مجرد الصفات كَفَرَ، ومن تعلق بعبادة مجرد الذات فَسَقَ، والمستقيم عِبَادَةُ الذات المتصفة بالصفات.



صفة الوجود:

صفة ذاتية نفسية، وهي واحدة، ومعناها أن وجود ذاته تعالى لا لعلة، وأن الغير ليس مؤثرا في وجوده تعالى.

ووجود الله تعالى وجود كامل ذاتي، فهو موجود لذاته لا لعلة مؤثرة فيه، ومن خصائص الوجود الذاتي أنه لا يقبل العدم، ولم يسبقه عدم.

وهذا الوجود الكامل المطلق ليس إلا لله، ووجود ما عداه ناقص تبعي يقوم بين عدمين سابق ولاحق.

والوجود صفة ثبوتية يدل الوصف بها على الذات دون معنى زائد عليها.

يقول الأشعري عن الوجود: إنه عين الموجود.

ومراده أن الوجود ليس زائدًا على الذات في الخارج، والصفة عمومًا يكفي فيها أن تكون مغايرة للموصوف وإن لم تكن زائدة على الذات في الخارج.

ويكفي المكلف أن يعرف أن الله موجود، ولا يجب عليه معرفة أن وجوده تعالى عين ذاته أو غير ذاته.

وبعض أهل الحقيقة ممن فنوا عن الخلق واستغرقتهم وحدة الشهود لم يكن يشاهد لغير الله وجودا، وقد غرق في ذلك من غرق، حتى وقع من بعض الأولياء ما يوهم الاتحاد والحلول كقول الحلاج: أنا الله. وكقول بعضهم: ما في الجبة إلا الله.

وهذا اللفظ لا يجوز شرعا لإيهامه، لكن القوم تارة تغلبهم الأحوال، فيؤول ما يقع منهم بما يناسبه.



صفة القدم:

وهي من الصفات السلبية أي التي دلت على سلبِ ما لا يليق به سبحانه وتعالى.

ويقصد بها القدم الذاتي، وهو عدم افتتاح الوجود.

إذ لو لم يكن قديما لكان حادثا، إذ لا واسطة، ولو كان حادثا لافتقر لمحدِث، ولو افتقر لمحدِث لافتقر محدِثه إلى محدِث، لانعقاد المماثلة بينهما، فيلزم الدور أو التسلسل، وكل منهما محال.

ولو كان سبحانه مسبوقًا بالعدم لكان لا بد من مؤثر في إيجاده، ومحال أن يكون مع ذلك إلهًا، وعندئذٍ فلا بد أن يكون الإله هو السابق عليه والموجِد له، ويكون هذا المؤثر السابق هو القديم إذا.

فنؤمن بأن الله عز وجل لم يزل ولا يزال له الوجود السرمدي، وجاء في الخبر عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كَانَ اللهُ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَهُ".(١)

صفة البقاء:

ومعناها امتناع لحقوق العدم بذاته سبحانه وتعالى، إذ كما لا يتصور وجود مؤثر في واجب الوجود بالإيجاد، فلا يتصور وجود مؤثر فيه بالإعدام، وإلا لم يكن واجب الوجود.

وهي صفة تفيد عدم الآخرية للوجود، ودليله أنه لو جاز عليه العدم لاستحال عليه القدم. فكل ما ثبت قدمه استحال عدمه.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]

فالله تعالى لا أول له ولا آخر. وجميع المخلوقات فلها أول وآخر.

ولكن نعيم الجنة وعذاب النار له أول ولا آخر له، وقد علم ذلك من جهة الشرع لا العقل، لأن العقل يُجَوِّزُ عليه العدم.



١ - أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ٧، حديث ٦١٤٠)، واللفظ له، والبخاري في صحيحه (٣/ ١١٦٦، حديث ٣٠١٩)، بلفظ: "كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ"، والنسائي في سننه الكبرى (٦/ ٣٦٣، حديث ١١٢٤٠) بلفظ: "كان الله ولا شيء غيره"، والبيهقي في سننه الكبرى (٩/ ٢، حديث ١٧٤٨٠)، بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء غيره"، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧١، حديث ٣٣٠٧)، عن بريدة الأسلمي بلفظ: "كَانَ اللهُ وَلاَ شَيْءَ غَيْرُهُ"، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

صفة المخالفة للحوادث :

ومعناها عدم مماثلته لها، فهو سبحانه ليس بجرم ولا عرض ولا كلي ولا جزئي، وهو منزه عما تستلزمه هذه الصفات أيضا من الأحوال والعوارض. كالتي تعتور الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى كالنوم والغفلة والجوع والعطش والحاجة والعوارض النفسية والجسمية.

ودليلها أنه تعالى لو لم يكن مخالفا للحوادث في كل صفة لكان مماثلا لها في الحدوث أو كانت مماثلة له في القدم، وهو محال.

ولو لم يكن مخالفًا للحوادث من كل وجه للزم أن يكون مركبًا، إذ لو شابه الحوادث في صفة أو عرض، فحتى تكون ذاته متميزة فإنه يخالفها في وجه آخر أو صفة أخرى، والتركيب يلزم عنه الحدوث، وهو محال.

يقول الأشعري: لأنه تعالى لو كان شبيها لشيء من خلقه لاقتضى من الحدث والحاجة إلى محدِث له ما اقتضاه ذلك الذي أشبهه، أو اقتضى ذلك قدم ما أشبهه من خلقه، وقد قامت الأدلة على حدوث جميع الخلق واستحالة قدمه.

فنعتقد أن الله تعالى لا يتصف بما تتصف به الحوادث من صفات هي جوهر الحدوث كالتحيز في المكان والزمان والحاجات الجسمية والنفسية المختلفة وعوارض العجز والضعف.

والله منزه عن الشبيه أو النظير أو المثيل أو الشريك أو الوالد أو الولد أو الصديق أو العدو.

والشبيه هو المساوي في أغلب الوجوه.

وليس له تعالى شبيه في ذاته أو صفاته أو أفعاله؛ لوجوب مخالفته للممكنات.

والنظير هو المساوي في بعض الوجوه.

والمثيل هو المساوي في جميع الوجوه.

والله منزه عن الوالد؛ فلا يكون له والد أبا كان أو أما.

والله منزه عن الولد؛ فلا يكون له ولد ذكرا كان أو أنثى.

وإنما عيسى عبد الله ورسوله، خلقه تعالى بكلمته، بلا أب، كما خلق آدم من طين بلا أب ولا أم، وكما خلق حواء من آدم بلا أم.

والله منزه أن يكون له صديق على الوجه المعتاد، وهو الذي يعاون كلا منهما صاحبه وينفعه. ولا ينافي أن يكون لله صديق بمعنى المخلص في عبادته تعالى.

وكذلك فالله منزه أن يكون له أعداء على الوجه المعتاد، الذي يتربص كلا منهما بعدوه فيؤذيه ويضره أو يخيفه.

ولا ينافي أن يكون لله عدو بمعنى المخالف لأمره المحارب لأوليائه.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [فصلت: ١٩]

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ٢٨]

ولا يَعْلَمُ اللهَ إلا اللهُ، وكل ما يقع عليه خاطرك فالله بخلافه.

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]

قال تاج الدين السبكي: فإن الله موجود قبل الخلق ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، ولا يقال: متى كان، ولا أين كان، ولا كيف كان، ولا مكان، كون الأكوان، ودبر الزمان، لا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا يلحقه وهم، ولا يكتنفه عقل، ولا يتخصص بالذهن، ولا يتمثل في النفس، ولا يتصور في الوهم، ولا يتكيف في

العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار، هذا آخر العقيدة وليس فيها ما ينكره سني.[١]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [سورة الإخلاص]

وعن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك. فأنزل الله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ قال: فالصمد الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.[٢]

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ نفي الكثرة والعدد.

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ نفي القلة والنقص.

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ نفي العلة والمعلولية.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ نفي الشبيه والنظير.

ولكن قد يتصف الإنسان وهو المخلوق الحادث ببعض الصفات التي هي من صفات الله تعالى، وهي صفات مَتَّعَ اللهُ الإنسانَ بفيوضات يسيرة جدًا منها؛ ليتهيأ له بواسطتها أن ينهض بالتكاليف التي خُلِقَ من أجلها، وليتسنى له أن يسخر لنفسه مظاهر الكون التي من حوله ويفيد منها، وهذه الصفات ليست نابعة من كيانه المتميز بالحدوث.

١- طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي في ترجمة ابن عساكر ص٣٣٦.

٢- أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٣٣، حديث ٢١٢٥٧) مختصرًا، والترمذي في سننه (٥/ ٤٥١، حديث ٣٣٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٨٩، حديث ٣٩٨٧)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

فصفات العلم والقدرة والإرادة والإدراك وما شابهها صفات ذاتية بالنسبة لله تعالى وأما بالنسبة للإنسان فهي صفات غير ذاتية، إذ هي في حقيقتها ليست أكثر من فيوضات إلهية.

فالواجب قد يشترك مع الممكن في صفات كالوجود والعلم والقدرة وغيرها من الصفات، ولكن يجب التفرقة بين مفهوم الموضوع أو عنوان الموضوع وهو الصفة وبين ما صدق عليه المفهوم الذي يسمى ذات الموضوع.

فالوجود مشترك بين الواجب والممكن من حيث مفهوم الوجود أو عنوانه، لا ما صدق عليه الوجود.



قيامه بنفسه تعالى:

يعني عدم افتقاره إلى المحل وعدم افتقاره إلى المخصص.

نعتقد أنه تعالى قائم بذاته غير مفتقر إلى موجِد يوجِدُه ولا إلى محلٍّ يقوم به، فقد كان الله تعالى قبل وجود أي شيء وقبل وجود الزمان والمكان.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ أي الذي لا يحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء.

ولو نسب لله تعالى مكان يتحدد فيه، وأمكن تصوره في مكانه ذلك، لكان عقلك أكبر إحاطة بالأشياء من إحاطة خالقها بها، وذلك يدل على عدم ألوهيته.

فنعتقد أنه تعالى ليس في جهة ولا في مكان.

وخالف في ذلك المشبهة فخصصوه بجهة الفوق.

ثم اختلفوا، فذهب محمد بن كرام إلى أن كونه في الجهة ككون الأجسام فيها، وهو مماس للصفحة العليا من العرش، ويجوز عليه الحركة والانتقال وتبدل الجهات، وهذا معتقد اليهود، حتى قالوا: إن العرش يئط من تحته أطيط الرحل الجديد. أي من ثقله.

وقالوا: إنه يفضل على العرش من كل جهة أربعة أصابع.

وقالوا: بل هو محاذ للعرش غير مماس له. فمن قائل بينهما مسافة متناهية، وقائل: غير متناهية.

ومنهم من قال: كونه في مكان وجهة ليس ككون الأجسام في الجهة.

الرد :

لو كان تعالى في مكان للزم من ذلك قدم المكان.

ولو كان تعالى في مكان لكان في حاجة إلى مكانه، ومكانه مستغن عنه.

ولو كان تعالى في مكان فإما أن يكون في بعض الأحياز أو في جميعها، وكلاهما باطل.

فإن كان في بعض الأحياز فهو باطل؛ لأن الأحياز كلها متساوية، ونسبتها إليه متساوية، فيكون اختصاصه ببعضها ترجيحا بلا مرجح. فيكون تعالى محتاجا لغيره يخصصه بحيز دون غيره، وهو محال.

وأما إن كان في جميعها فهو باطل أيضا؛ لأنه يلزم منه تداخل المتحيزين، وهو محال بالضرورة. ويلزم منه أيضا مخالطته تعالى لقاذورات العالم، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

ولا يكون تعالى جوهرًا؛ لأنه إما ألا ينقسم أو ينقسم، وكلاهما باطل.

أما الأول فلأنه يكون جزءا لا يتجزأ، وهو أحقر الأشياء.

وأما الثاني فلأنه يكون حينئذ جسما، وكل جسم مركب، والمركّب محدَث ضرورة، وهذا أمر ينافي الوجوب الذاتي له تعالى.

فلا يكون تعالى في حيز؛ لأنه لو كان متحيزًا لساوى الأجسام في التحيز، ولا بد من أن يخالفها بغيره، فيلزم التركيب.

ولا ضرورة في العقل تجزم بأن كل موجود فهو متحيز أو حالٌّ فيه، وإنما ذلك حكم الوهم وغير مقبول.

قال القاضي عياض: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم.(١)

فالاستدلال بالظواهر الموهمة للتجسم من الآيات والأحاديث نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]

وقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ [الفجر: ٢٢]

وقوله تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]

وقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾ [المعارج: ٤]

وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]

وقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك: ١٦]

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾ [النجم: ٧-٩]

وما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».**(٢)

١- شرح صحيح مسلم للنووي (٥/ ٢٢).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٨٤، حديث ١٠٩٤)، ومسلم في صحيحه (١/ ٥٢١، حديث ٧٥٨).

وما روي عن عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ جَارِيَةً لِي كَانَتْ تَرْعَى غَنَمًا لِي فَجِئْتُهَا وَقَدْ فُقِدَتْ شَاةٌ مِنَ الْغَنَمِ، فَسَأَلْتُهَا عَنْهَا فَقَالَتْ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ. فَأَسِفْتُ عَلَيْهَا، وَكُنْتُ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلَطَمْتُ وَجْهَهَا، وَعَلَيَّ رَقَبَةٌ أَفَأُعْتِقُهَا؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « **أَيْنَ اللَّهُ؟**» فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. فَقَالَ: « **مَنْ أَنَا** ». فَقَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « **أَعْتِقْهَا** ».[1]

وكلها ظواهر ظنية، لا تعارض اليقينيات، فوجب تأويلها أو تفويض فهمها إلى الله.

والخلاصة أننا نعتقد أنه تعالى خارج عن الزمان والمكان، ولا يتحد بغيره، ولا يحل في غيره، ولا يقوم به حادث؛ لأنه لو قام بذاته حادث فإنه لا يخلو عنه وعن ضده، وضد الحادث حادث، وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث.



صفة الوحدانية :

والوحدانية من الصفات السلبية، وهي الصفات التي مدلولها عدمُ أمرٍ لا يليق بالله سبحانه.

وتعني سلب تصور الكمية في ذاته وصفاته سبحانه وتعالى، سواء الكمية المتصلة أو الكمية المنفصلة، فهو سبحانه وتعالى ليس مركبا من أجزاء ولا مكونا من جزئيات. فليس له سبحانه علمان ولا قدرتان بحيث تتمم كل واحدة منهما الأخرى، فهذا هو نفي الأجزاء عنه، وليس لغيره سبحانه وتعالى علم كعلمه أو قدرة كقدرته، وهذا هو نفي الجزئيات عنها.

والجزء من الشيء ما يتركب ذلك الشيء منه ومن غيره، بحيث لا يصدق اسم ذلك الشيء عليه وحده حتى تتكامل معه بقية أجزائه الأخرى، مثل الجدار من الغرفة

---

١ - أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٧٧٦، حديث ١٤٦٨).

والغلاف من الكتاب واليد من الإنسان، ويطلق على مجموع الأجزاء بعد تناسقها وتمامها اسم الكل.

والجزئي هو ما يندرج تحت الجنس أو النوع من الأعداد والأفراد، بحيث يصح إطلاق ذلك الجنس أو النوع على كل فرد من أفراده على حدة.

والمقصود بوحدانية الله تعالى أنه ليس كلاً مركبًا من أجزاء ولا كليًا مكونًا من جزئيات.

فيراد بصفة الوحدة لله تعالى وحدة الذات والصفات والأفعال أي عدم النظير فيهما.

فأما وحدة الذات فهي عدم جواز التركيب عليها، وأما وحدة الصفات أي عدم تعددها من جنس واحد كقدرتين فأكثر، وأما وحدة الأفعال أنه لا تأثير لغيره في فعل من الأفعال.

فالوحدانية الشاملة لوحدانية الذات والصفات والأفعال تنفي عن الله تعالى: تركب الذات من أجزاء، أو تعددها بحيث يكون هناك إله ثان فأكثر، وتعددية الصفات من ناحية الجنس بمعنى أن يكون له قدرتان أو علمان، أو من ناحية أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى، كأن يكون لغيره قدرة أن يوجد شيئًا أو يعدمه، أو يكون لغيره علم محيط بجميع الأشياء، وينفي أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد، وإنما ينسب الفعل لغير الله على وجه الكسب والاختيار.

والدليل على امتناع وجود إلهين أو أكثر مستجمعين لشرائط الألوهية :

١- لو وجد إلهان قادران على الكمال لكان نسبة المقدورات إليهما سواء، إذ المقتضي للقدرة ذاتهما وللمقدورية الإمكان؛ ولأن الوجوب والامتناع يحيلان المقدورية فتستوي النسبة بين كل مقدور وبينهما، فإذًا يلزم وقوع هذا المقدور المعين إما بهما وهو باطل، لامتناع مقدور بين قادرين، وإما بأحدهما ويلزم الترجيح بلا مرجح.

فلو تعددت الآلهة لم يوجد شيء من الممكنات؛ لاستلزامه أحد المحالين: إما وقوع مقدور بين قادرين، وإما الترجيح بلا مرجح.

٢- إذا أراد أحدهما شيئا فإما أن يمكن من الآخر إرادة ضده أو يمتنع، وكلاهما محال، **أما الأول** فلأنا نفرض وقوع إرادته له؛ لأن الممكن لا يلزم من فرض وقوعه محال، فيلزم إما وقوعهما معا فيلزم اجتماع الضدين، وإما لا وقوعهما فيلزم ارتفاعهما، فيلزم عجزهما لعدم حصول مرادهما. وأيضًا يلزم اجتماعهما؛ لأن المانع من وقوع مراد كل منهما هو حصول مراد الآخر لا قادريته عليه، فإذا امتنع مراد كل منهما فقد حصل مرادهما معًا، هذا خلف.

وأيضًا فإذا فرض ما ذكرناه في ضدين لا يرتفعان كحركة جسم وسكونه لزم المحال وهو ارتفاعهما معًا.

وأما وقوع أحدهما دون الآخر فالذي لا يقع مراده لا يكون قادرًا كاملاً فلا يكون إلهًا.

وأما الثاني وهو أن يمتنع إرادة الآخر ضده؛ فلأن ذلك الشيء الذي امتنع تعلق إرادة الآخر به هو لذاته يمكن تعلق قدرة كل من الإلهين وإرادته به، فالذي امتنع تعلق قدرته وإرادته به فالمانع عنه هو تعلق قدرة الآخر وإرادته به، فيكون هذا عاجزا. فلا يكون إلها، هذا خلف؛ لأنه خلاف المقدر.

قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]

قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]

والمراد بالفساد: عدم الوجود.

أي لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله لم توجدا، لكن عدم وجودهما باطل لمشاهدة وجودهما، فبطل ما أدى إليه وهو وجود جنس الآلهة غير الله، فثبت أن الله واحد، وهو المطلوب.

وليس المحال الجمع بينه تعالى وبين الآلهة فيهما فقط، بل المحال وجود جنس الآلهة غير الله، وإلا في الآية بمعنى غير، وليست أداة استثناء لفساد المعنى حينئذ.

لأن المعنى عليه: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا. فيقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا، وهو باطل.

والله منزه عن الضد أي المضاد له، وذلك أن الضدين هما الأمران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف لا يجتمعان، فلو فرض أن لله ضدا في ذاته أو صفاته لوجب ارتفاع ذاته أو صفاته ارتفاعًا مطلقًا إن ثبت الضد دائمًا أو ارتفاعًا مقيدًا بحالة وجود الضد إن لم يثبت دائمًا. لأنه متى ثبت أحد الضدين ارتفع الآخر، فالضدان لا يجتمعان، والله تعالى واجب الوجود قديم وكذا صفاته.

ومن توحيده تعالى توحيده في ربوبيته، وهو العلم بأنْ لا خالق غيره ولا مدبر للكون ولا متصرف فيه سواه.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣]

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: « رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَىْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلاَ مُعْطِىَ لِمَا مَنَعْتَ وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ».[1]

ومن توحيده تعالى توحيده في ألوهيته، وهو العلم بأنه تعالى المستحق للعبادة وحده دون سواه، والقصد والتوجه والقيام بالعبادات كلها إليه.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

---

١ - أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٤٧، حديث ٤٧٧).

وقال تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٩٣]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**».[1]

فنعتقد أن الله وحده هو المتفرد بالخلق والرزق والعطاء والمنع ودفع الضر وجلب النفع، وهو الذي يجب أن يفرد بالعبادة التي هي غاية الخضوع والذل مع الفقر والحاجة للعزيز الغني القادر المنعم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]

فقد قرن تعالى في الآية بين طلب الإفراد في العبادة والتأليه مع تعدد النعم التي تفرد سبحانه بخلقها وتسخيرها للإنسان.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ

١- أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٩٣، حديث ٢٦٦٩)، والترمذي في سننه (٤/ ٦٦٧، حديث ٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح.

خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل: ٦٢-٦٤]

ومن توحيده تعالى توحيده في شرعه أي الاحتكام إليه، والعلم أنه لا حاكم إلا الله ولا محلل أو محرم سواه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]

وقال تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧]

وقال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠]

وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٢١]

وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٠]

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]

صفة القدرة :

وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، وهي من صفات المعاني، يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة.

وما يجب على المكلف العلم به والإيقان فيه أن الله عز وجل قادر على كل شيء.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ ﴾ [الأنعام: ٣٧]

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٩٩]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠]

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]

والدليل على اتصافه تعالى بالقدرة، أنه تعالى لو لم يكن متصفًا بها لكان متصفًا بضدها وهو العجز، وسبحانه منزه عنه.

وللزم أحد الأمور الأربعة :

إما نفي الحادث، أو عدم استناده إلى المؤثر، أو التسلسل، أو تخلف الأثر عن المؤثر، وبطلان اللوازم الأربعة دليل بطلان الملزوم.

وقدرته تعالى قديمة، وإلا لكانت حادثة وكانت مفتقرة إلى قدرة قديمة توجدها، وعدم القول بقدرة قديمة يلزم منه التسلسل، وهو باطل.

والقدرة واحدة لا تعدد فيها ولا كثرة، لأن الواحد الموجب لا يصدر عنه إلا الواحد.

وقدرته تعالى مطلقة غير متناهية من جهة الذات ومن جهة ما تتعلق به.

أما من جهة الذات فلأن التناهي من خواص الكم، والكم محال عليه.

وأما من جهة ما تتعلق به، فمعناه أن تعلقها لا يقف عند حد لا يمكن تعلقها بغيره، وإن كان كل ما تتعلق به بالفعل متناهيا، فتعلقاتها متناهية بالفعل، غير متناهية بالقوة.

وهذه الأحكام مطردة في بقية الصفات ذات التعلق كالعلم والإرادة.

فصفة القدرة لها تعلق صلوحي قديم، وهو صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام فيما لا يزال، فهي تتعلق بعدمنا فيما لا يزال قبل وجودنا وباستمرار الوجود بعد العدم وباستمرار العدم بعد الوجود تعلق قبضة، أي أن الممكن في قبضة القدرة. فإن شاء الله أبقاه على عدمه أو على وجوده وإن شاء أوجده أو أعدمه.

وتتعلق القدرة بإيجادنا بالفعل بعد العدم السابق، وبإعدامنا بالفعل بعد الوجود، وبإيجادنا بالفعل حين البعث، تعلقا تنجيزيا حادثا في هذه الثلاثة.

والله قادر أن يصح منه إيجاد العالم وتركه، وليس شيء منهما لازما لذاته بحيث يستحيل انفكاكه عنه. فالقادر الذي هو مؤثر تام يجوز أن تتعلق قدرته بالإيجاد في ذلك الوقت الذي أوجد الحادث فيه دون غيره، بلا سبب يخص ذلك الوقت.

فإن قيل: إذا كانت قدرته متعلقة بهذا الطرف في الأزل فأي فرق بين الموجب والمختار؟

قلنا: إنه بالنظر إلى ذاته مع قطع النظر عن تعلق قدرته يستوي إليه الطرفان: الإيجاد، والعدم. ووجوب هذا الطرف وجوب بشرط تعلق القدرة والإرادة به، لا وجوب ذاتي.

ولا يمتنع عقلا تعلق قدرته بالفعل بدلا من الترك، وبالعكس.

فإن قيل: القدرة نسبتها إلى الوجود والعدم سواء، والعدم غير مقدور؛ لأنه لا يصلح أثرًا.

قلنا: لا نسلم أن العدم غير مقدور، وأنه لا يصلح أثرًا.

وإن سلمناه فالقادر من إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل، لا إن شاء فعل العدم.

فالله تعالى قادر حيث وجبت له القدرة، فهو إن شاء فعل وإن شاء ترك، وهو متمكن من الفعل والترك على السواء، يصدران منه على وفق مصالح الخلق المترتبة على ذلك.



صفة الإرادة :

صفة قديمة أزلية، زائدة على الذات، قائمة بذاته تعالى، من شأنها تخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها، من وجود وعدم وتكيف بقطع النظر عن أي مؤثر خارجي.

والإرادة واحدة، وتعلق الإرادة الإلهية بإيجاد شيء أو إعدامه قديم، ولا يمكن أن يكون حادثا، إذ لو كان كذلك، لكان من مستلزماته أن لا يكون الله عالما ببعض ما يريد خلقَهُ وفعلَهُ في المستقبل، وهو محال.

فثبت عكسه، وهو أن الله يعلم في الأزل كل ما سيفعله وسيخلقه في الحين والوقت الملائمين.

وقال الأشعري: إرادة الشيء عين كراهة الضد.

وإرادته تعالى قديمة، إذ لو كانت حادثة لاحتاجت إلى إرادة أخرى ولزم التسلسل.

والقدرة والإرادة إن نظرت إلى تعلقهما الصلوحي فهو تعلق أزلي قديم، وإن نظرت إلى تعلقهما التنجيزي فهو تعلق حادث.

ومعنى ذلك أن الله خصص في الأزل وجود الشيء على عدمه، وكان يتأتي له في الأزل أن يرجح بإرادته عدمه على وجوده، فإرادة الله في الأزل صالحة لترجيح كل من الوجود والعدم.

والقدرة صفة تؤثر وفق الإرادة، فما خصصه الله بإرادته أبرزه بقدرته.

فتعلق الإرادة لكونه أزليًا سابق على تعلق القدرة لكونه تنجيزيًا حادثًا، والصفتان قديمتان، ولكن الترتيب بين التعلقين لا بين الصفتين.

والقدرة والإرادة يتعلقان بالممكنات فقط، ولا شأن لهما بالواجب أو المستحيل، وليس هذا عجزًا أو نقصًا، وإنما الإرادة الكاملة التامة ليس من شأنها أن تتجه إلى الواجب ولا إلى المستحيل، وكذلك القدرة.

لأنه إن تعلقت إرادة الله بإيجاد المستحيل مثل الشريك في الألوهية فأوجدته. فإنه حينئذٍ ما كان مستحيلاً.

لأن معناه أن الله قد أوجد إلها مثله واجب الوجود، وواجب الوجود يستحيل أن يكون مسبوقًا بعدم.

فلا تتعلق القدرة أو الإرادة بالواجب أو المستحيل؛ لأنها إن تعلقت بالواجب فلا يصح أن تعدمه؛ لأنه لا يقبل العدم، ولا يصح أن توجده؛ لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل.

مسألة: خلق أفعال العباد والإرادة الإنسانية.

خلق الإيمان:

الإيمان مخلوق؛ لأنه إما مع التصديق بالجنان أو مع الإقرار باللسان، وكل منهما مخلوق.

والله عز وجل هو خالق كل شيء، خالق الإنسان وخالق الأفعال، وخَلْقُ الفعلِ هو خَلْقُ القدرةِ على فعله، والإنسان مخلوق مكلف مختار، ومعنى خلق الله لفعله هو أنه خلق في الإنسان قدرة على الاختيار بين الفعل والترك.

والفعل خيره وشره والإيمان والكفر من خلق الله، ولكن الأدب يستوجب علينا أن لا ننسب لله إلا الحسن، فينسب الخير لله، والشر للنفس كسبا وإن كان منسوبا لله إيجادا.

قال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٨-٧٩]

وقال: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]

ومن أدب الخضر أنه قال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف: ٨٢]

بينما قال عن أمر السفينة: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف: ٧٩]

وكذلك فعل الخليل إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٧-٧٩]

ثم قال: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠]، فمن تأدبه مع ربه لم يقل: "أمرضني".

ثم عاد فقال: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨١-٨٢]

ومِنَ المُسَلَّمِ به أن الكل من الله تعالى.

فالمؤثر الحق هو الله عز وجل، وليس بين الأسباب ومسبباتها تلازما ضروريا عقليا، ومن اعتقد أن بين الأسباب ومسبباتها تلازمًا عقليًا بحيث لا يصح تخلفها أبدًا، فهو جاهل، وربما جره ذلك إلى الكفر؛ لأنه تبعًا لذلك قد ينكر معجزات الأنبياء لكونها على خلاف العادة، والحق أن يعتقد أن الله خلق الأسباب والمسببات، وجعل بينهما تلازمًا عاديًا وسنة محكمة، وأن الأمر بيده سبحانه، فقد يعطل الأسباب فلا تنتج مسبباتها، وقد يخلق المسببات بلا أسباب بقدرته.



وأفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى.

قال القاضي: على أن تتعلق قدرة الله بأصل الفعل، وقدرة العبد بكونه طاعة أو معصية.

وقال إمام الحرمين: واقعة بقدرة يخلقها الله تعالى في العبد.[1]

فقد تعلقت إرادة الله عز وجل بأن يغرس في كيان الإنسان الاختيار والإرادة، وعليهما مدار التكليف فيه.

فإرادة الله تعلقت بأن يكون الإنسان مريدًا، وبذلك سرت إرادة الله عز وجل إلى كل ما يريده ويختاره من الأعمال، وإذًا فلا يمكن أن يقع أي تعارض بين إرادة الله تعالى

١ - الواقف، لعضد الدين الإيجي (٣/٢٠٨).

وإرادة العبد. فالعبد مختار لفعله غير مجبر عليه، وهو قادر عليه مكتسب له، وفعله مفتقر لإرادته.

فنعتقد أنه لا يقع شيء في الكون إلا بإرادة الله ومشيئته، وإلا لكان ثمة ما هو موجود رغمًا عنه وفوق اختياره، وهذا هو عين العجز والضعف، والله منزه عن ذلك.

فإرادة الله تعلقت بأن يوجد المؤمن والكافر في الحياة، وأن تنفعل مخلوقات الله المسخرة للإنسان سواء كان عاصيًا أو طائعًا، ولكنه تعالى لا يرضى لعباده إلا الإيمان، ولا يحب لهم إلا الطاعة، ولا يأمرهم إلا بالخير والعدل والتي هي أحسن.

قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧]

وإذا فكفر أبي جهل وعناد أبي لهب داخلان في مرادات الله عز وجل، دون رضاه وأمره.

فخلق الله لأفعال العباد لا يستلزم أن يكونوا مُكْرَهِين عليها، وليس هناك تلازم بين الأمرين.

فإن اكتساب العبد لفعل يتوقف على أمرين: وجود هذا الفعل في الخارج، أي وجود مقوماته كلها المادية والمعنوية، وتوجه إرادته وقصده إلى فعله.

❖ ❖

مسألة التحسين والتقبيح:

نعتقد أنه لا يجب على الله تعالى شيء من قبيل العقل، ولا يجب على العباد شيء قبل ورود الشرع.

وأن الأشياء لا تنطوي انطواء ذاتيًا على شيء من الحُسن والقبح، ولا يمكن أن تكون متسمة بحسن أو قبح متأصلين فيها بالطبع لا بالخلق.

وأن الله هو الخالق لجميع الأشياء بجميع صفاتها، فهو الخالق لمعنى الحسن ومعنى القبح فيها، ثم هو الرابط والجامع بين ذلك الشيء وهذا المعنى.

ونعتقد أن الله فاعل مختار لا يخرج شيء عن إرادته ومشيئته، وليس سبحانه مجبورًا على شيء في خلقه أو في حكمه، إذ لو كان مجبورًا لكان سبب الجبر هو ضرورة اتباعه الأصلح والأفضل، وتجنبه الفاسد والقبيح.

والذي جعل الصالح صالحًا والفاسد فاسدًا والقبيح قبيحًا هو الله عز وجل، ولا شيء يسمى بالنظر لذاته حسنًا أو قبيحًا، والأمور كلها بالنسبة إلى الله في بدء الخلق سواء.

ولكن الله عز وجل كتب على نفسه في صريح كتابه أنه يثيب الطائع لطفًا منه ورحمة، فلا بد أن ينفذ وعده؛ لأنه أخبرنا بذلك، ولأنه أصدق الصادقين، ولأنه جعل الصدق بشرعه حسنًا والكذب قبيحًا.

وخَلْقُ الله للشيء القبيح أو الضار ليس من النقص في شيء، ولا يجب تنزيه الله عنه، لأن من صفات الكمال الثابتة لله أنه خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير وأنه يخلق ما يشاء لا يصده عن ذلك عرف أو قانون، وليس خلقه لأصناف الموجودات من قبيح وحسن وضار ونافع إلا مظهرا لهذه الصفة الكاملة.

ولكن المُنَافِيَ لصفة الكمال والمستلزم للنقص أن يقال: إن الله اكتسب القبيح أو اتصف به. ولا نقول بذلك أبدًا.

والعقل بمفرده لا يستطيع أن يستظهر حكم الله في الأشياء بموجب ما يتراءى فيها من صفة الحسن أو القبح؛ لأن ما يظهر عليها من هذه الصفة ليس ضرورة عقلية ملازمة للذات، بحيث لا بد أن يكون حكم الله تابعا لها، وإنما هو ارتباط جعلي أو تصور خيالي.

وأفعال العباد ليست على صفات نفسية حسنًا وقبحًا، بحيث لو أقدم عليها مُقْدِم أو أحجم عنها محجم استوجب على الله ثوابًا أو عقابًا، وقد يحسن الشيء شرعًا ويقبح مثله المساوي له في جميع الصفات النفسية.

فمعنى الحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعله، ومعنى القبيح ما ورد الشرع بذم فاعله.

وإنه ما من وقت من الأوقات إلا ويتقلب العبد في نعم كثيرة من نعم الله تعالى ابتداء بأجزل المواهب وأفضل العطايا، من حسن الصورة وكمال الخلقة وقوام البنية وإعداد الآلة وإتمام الأدلة وتعديل القناة.

قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]

والوجوب في حق الله تعالى غير معقول على الإطلاق، فلا ابتداء الإنعام واجب عليه فعلاً، ولا إذا قابل العبد نعمه تعالى بشكر يسير كان الثواب واجباً عليه.

ولا يجب على الله تعالى شيء فما أنعم به فهو فضل منه، وما عاقب به فهو عدل منه، ويجب على العبد ما يوجبه الله تعالى عليه، ولا يستفاد بمجرد العقول وجوب شيء، بل جميع الأحكام المتعلقة بالتكاليف متلقاة من قضية الشرع وموجب السمع.

والدليل على أنه لا يجب على الله شيء أن حقيقة الواجب ما يستوجب اللوم بتركه، والرب سبحانه وتعالى يتعالى عن التعرض لذلك.

وتعذيب المطيع وتنعيم العاصي أمران بالنظر إلى ذاتيهما جائزان عقلاً، ولكن العلم بالخبر الصادق القطعي من جهة الشرع يحكم باستحالتهما، وكذلك التكليف بما لا يطاق أمر جائز عقلاً بالنظر إلى ذاته، وإلا لما صح في العقول تصوره، ولكنه من جهة الشرع لا يقع.

والخلاصة أن الأمة قد أجمعت على أن الله لا يفعل القبيح ولا يترك الواجب، فالأشاعرة من جهة أنه لا قبيح منه ولا واجب عليه. وأما المعتزلة فمن جهة أن ما هو قبيح منه يتركه، وما يجب عليه يفعله.

مسألة: أفعال الله منزهة عن العلة الغائية:

ولو قلنا: إن أفعال الله عز وجل تنطوي على العلة الغائية كما هو الشأن بالنسبة لنا. لاستلزم ذلك القول بأن الله عز وجل متصف ببعض النقائص، وأنه يستكمل هذه النقائص بغيره، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ولا يوهم هذا الكلام أن في فعل الله وخلقه عبثا، والعبث محال على الله بصريح القرآن، وذلك أن الله عز وجل بث نظام العلية في المكونات والمخلوقات، وأن من وراء أفعال الله حِكَمًا ومصالح تأتي مترتبة عليها يعلمها الله عز وجل دون أن تكون هذه الحكم والمصالح عللاً غائية دافعة له إلى تلك الأفعال.

قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ [الروم: ٨]

فقد شاء الله عز وجل أن يجعل لمخلوقاته المختلفة حِكَمًا ومصالحَ عظيمة كان قادرًا على أن يوجد تلك المصالح بدونها، ولكنه أراد أن ينبه عقول العباد عن طريق هذا الترتيب والتنظيم الجعلي إلى أن للعالم خالقًا ومدبرًا.



صفة العلم:

وهي صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي به من غير سبق خفاء.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [فاطر: ٣٨]

وقال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]

والله عالم ضرورة، ودليل ذلك ما يظهر في خلقه وفعله من الإتقان.

وهو سبحانه عالم بالكليات والجزئيات؛ لأنهما مقدوران له، وقد صدرا عنه على صفة الإتقان.

ومن نفى العلم عن الله بحجة أن العلم يتعدد ويتغير بحسب كل معلوم، فيلزم من إثباته أن يكون في ذات الله كثرة غير متناهية.

فالجواب إنه كثرة في الإضافات فقط ولكن العلم واحد، وذلك غير ممتنع.

فعلم الله تعالى ليس زمانيا، وهو علم واحد، علم ما وجد هو عين علمه بأنه سيوجد، ولا تغير في علم الله.

فالله عليم حيث وجب له العلم، وعلمه شامل لكل ما من شأنه أن يُعْلَمَ، والمبالغة في الصيغة باعتبار الكثرة في المتعلق لا في الصفة، فصفة العلم واحدة لا تكثُّر فيها.

قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]

وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٨]

وتغير الأشياء بين الماضي والحال والاستقبال هو تغير في أطوار المعلومات لا يوجب تغيرا في تعلق العلم، فالمتغير إنما هو صفة المعلوم لا تعلق العلم.

والمولى عز وجل يعلم الأشياء أزلاً إجمالاً وتفصيلاً، ويعلم الكليات والجزئيات، ويعلم سبحانه ما لا نهاية له ككمالاته وأنفاس أهل الجنة، فيعلمها تفصيلا، ويعلم أنه لا نهاية لها، وتوقف التفصيل على التناهي إنما هو بحسب عقولنا.

ولا يقال لعلم الله أنه كسبي؛ لأنه يلزم منه قيام الحوادث بذاته تعالى، ويلزم منه أيضًا سبق الجهل في حقه، وهو محال.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ [البقرة: ١٤٣]

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ [الكهف: ١٢]

فهو مؤول على أن المراد ليظهر لهم متعلق علمنا.

وعلمه تعالى غير مكتسب، وفعله غير معلل، واللام في الآية للعاقبة والفائدة.

صفة الحياة:

وهي صفة يصح لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك، واتفق على اتصافه بالحياة لأنه عالم قادر فهو حي بالضرورة.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وقال تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١]

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الفرقان: ٥٨]

صفة الكلام:

وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت، منزهة عن التقدم والتأخر، والإعراب والبناء، وعن السكوت النفسي الذي تُدَبِّرُ فيه النفسُ كلامَهَا مع القدرة عليه، ومنزهة عن الآفة الباطنية التي تُعْجِزُهُ عن الكلام، عبر عنها نَظْمُ ما أوحاه الله إلى رسله كالقرآن والتوراة والإنجيل.

ويكفي المكلف أن يعلم أن الله تعالى متكلم بكلام قديم، بغير آلة للكلام، وكلامه ليس بحرف ولا صوت ولا ألحان ولا نغمات؛ لأن الحروف تتوالى وتترتب ويقع بعضها مسبوقا ببعض، وكل مسبوق فهو حادث، والحدوث ممتنع الحصول في ذاته تعالى.

وكلام الله قديم لامتناع الحوادث بذاته تعالى، والأصوات والحروف حادثة، وإنما كلامه القديم هو المعنى القائم بالنفس، وهو غير العبارات، إذ قد تختلف العبارات بالأزمنة والأمكنة والأقوام، بل قد يدل عليه بالإشارة والكتابة كما يدل عليه بالعبارة، والطلبُ واحدٌ لا يتغير.

فما يقرؤه القراء بألسنتهم ويكتبوه في مصاحفهم فهو فِعْلُهُمْ الذي أُمِرُوا به ويُجَازَوْنَ عليه، وأما كلام الله فهو المعلوم المفهوم من هذه القراءة.

والكتابة ما هي إلا أحرف منظومة وأشكال مرقومة، وهي حوادث، وأما المفهوم منها فهو كلام الله القديم.

وكلامه تعالى صفة واحدة لا تعدد فيها، ولكن لها أقسام اعتبارية، فمنها ما تعلق بطلب فعل كالعدل فهو أمرٌ، ومنها ما تعلق بترك فعلٍ كالزنا فهو نهيٌ، ومنها ما كان إخبارا وإعلاما فهو خبرٌ.

والكذب ممتنع على كلامه تعالى؛ لأن الكذب قبيح، ومناف للمصلحة، وهو نقصٌ وعجزٌ.

وقد اتفق المسلمون كلهم على تنزيه الله تعالى، والتمسك بمحكم النصوص القرآنية

والأحاديث النبوية، وفَهْمِ بعض المتشابهات التي يُوهِمُ ظاهرُها إثبات ما ينافي كمال الله وألوهيته في ضوء ما قطعت به النصوص المحكمة من التنزيه.

صفتا السمع والبصر :

هما صفتان أزليتان قائمتان بذاته تعالى، تتعلقان بالمسموعات والمبصرات أو بالموجودات، وتفيدان إدراكه تعالى لها إدراكا تاما، لا عن طريق التخيل والتوهم، ولا عن طريق تأثير حاسة ووصول هواء أو شعاع.

وكونه متكلمًا أو سميعًا أو بصيرًا ليس إلا أنه ذات لها السمع والبصر والكلام، وإطلاق المشتق وصفا لشيء يقتضي ثبوت مأخذ الاشتقاق له.

ودل على اتصافه بالسمع والبصر كونه تعالى حيًّا، وكل حي يصح اتصافه بالسمع والبصر، ومن صح اتصافه بصفة اتصف بها أو بضدها، وضد السمع والبصر هو الصمم والعمى، وهما من صفات النقص فامتنع اتصافه تعالى بهما، فوجب اتصافه بالسمع والبصر.

قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١]

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٨١]

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضى الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ

مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ ».[١]

والله عز وجل يسمع ويبصر بغير آلة.

والسمع والبصر ثابتان لله تعالى في الأزل، ولا يلزم من ذلك قدم المسموع أو المبصر، لأن انتفاء التعلق لا يستلزم انتفاء الصفة، كما في سمعنا وبصرنا، فإن خلوهما عن الإدراك لا يوجب انتفاءهما أصلاً.

صفة الإدراك :

صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يدرك بها كل موجود، وهي صفة واحدة، يتصف بها سبحانه على ما يليق به، من غير اتصال بالأجسام، ومن غير وصول اللذات والآلام له تعالى.

ودليلها أنها صفة كمال، وكل كمال واجب لله تعالى؛ لأنه لو لم يتصف بها لاتصف بضدها، وهو نقص، والنقص عليه تعالى محال.



أسماء الله الحسنى :

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء:١١٠].

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٨].

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحشر: ٢٤].

والحسنى مؤنث الأحسن الذي هو أفعل التفضيل، كالكبرى والصغرى وهي ضد

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٠٩١، حديث ٢٨٣٠).

السوآى، أي لله تعالى أحسن الأسماء وأجلُّها وأعظمها وأشرفها؛ لاشتمالها على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد وهي أحسن المعاني وأشرفها، وعلى صفات الجلال والكمال لله رب العالمين.

وأسماء الله تعالى قديمة كصفات الذات، ومعنى قدمها أن الله صالح لها أزلا، فهي قديمة باعتبار الصلاحية، أو أن قدمها من حيث مدلولها الأزلي على معاني الأسماء.

واختلف في الأسماء هل هي متفاضلة أم متساوية.

فذهب البعض كابن العربي أن أسماء الله تعالى متساوية في نفس الأمر؛ لرجوعها كلها إلى ذات واحدة، وإن وقع فيها تفاضل فإن ذلك لأمر خارج.

وذهب البعض إلى أنها متفاضلة مستدلا بقوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠]

قال تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

فلفظ الجلالة الله هو الاسم الأعظم، وهو أعلى مرتبة من سائر الأسماء.

وروى الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».** (١)

وفي رواية الترمذي عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِى **لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِىُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ**

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٨١، حديث ٢٥٨٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٣، حديث ٢٦٧٧).

الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِي الْمُتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِيُّ الْمُغْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ ». [١]

قال الإمام النووي: اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه تعالى، وليس معناه أنه ليس له تعالى أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما المقصود منه أن هذه التسعة والتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة [٢] وله أسماء أخرى كثيرة، ولهذا جاء في الحديث الآخر: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَذَهَابَ هَمِّي، وَجَلاَءَ حُزْنِي»[٣]

ومعنى أحصاها: حفظها. وقيل: عدّها. وقيل: أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه، وصدّق بمعانيها، وعمل بمقتضاها. وقيل: أخطر بباله عند ذكرها بلسانه معانيها، وتفكر في مدلولاتها متدبرًا ذاكرًا، راغبًا راهبًا، معظمًا لها ولمسماها، مقدسًا للذات العلية، مستحضرًا بباله عند ذكر كل اسم المعنى الدال عليه.

١- أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٥٣٠، حديث ٣٥٠٧)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/ ٢٧، حديث ١٩٦٠٢).

٢- شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ٥).

٣- أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤٥٢، حديث ٤٣١٨)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٥٣، حديث ٩٧٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٠، حديث ٢٩٣١٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٠، حديث ١٨٧٧)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي، كلهم عن عبد الله بن مسعود، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٦): ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان.

ويجب تنزيه أسمائه تعالى وصفاته وأفعاله عما لا يليق بعظمته وجلاله، ويجب تنزيه سائر أسمائه وصفاته أيضًا عن تفسيرها بما يوهم نقصًا في حقه تعالى وينافي كماله، كتفسير الرحيم برقيق القلب؛ لاستحالة ذلك عليه.

قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١-٢].

أي: نزّه اسمه تعالى عن إطلاقه على غيره، فيقال له: الله أو الرحمن.

ومذهب جمهور أهل السنة أن أسماءه تعالى توقيفية وكذا صفاته، فلا يثبت لله اسمًا ولا صفة إلا إذا ورد بذلك توقيف من الشارع.

وتوقيف الشارع هو إذنه، الذي نعلمه بالسمع حقيقة كالوارد في الكتاب أو السنة، أو نعلمه حكمًا كالثابت بالإجماع مثل الصانع والموجود والواجب والقديم.

قال الإمام النسفي في تفسيره: من أسمائه تعالى ما يستحقه بحقائقه «كالحي» قبل كل شيء، «والباقي» بعد كل شيء، «والقادر» على كل شيء، «والعليم» بكل شيء، «والواحد» الذي ليس كمثله شيء.

ومنها ما تستحسنه النفس لآثارها، كالغفور والرحيم والشكور والحليم. ومنها ما يوجب التخلق به كالعفو. ومنها ما يوجب مراقبة الأحوال كالسميع والبصير، ومنها ما يوجب الإجلال كالعظيم والجبار والمتكبر.[1]

وقال الإمام الآلوسي في تفسيره: ومن أسمائه تعالى ما لا يجوز إطلاقه على غيره سبحانه كـ: الله، والرحمن، وما يجوز كـ: الرحيم، والكريم.

ومنها ما يباح ذكره وحده كأكثرها، وما لا يباح ذكره وحده كالمميت والضار، فلا يقال: يا مميت أو يا ضار، بل يقال: يا محيي يا مميت. يا نافع يا ضار.[2]

١- انظر: تفسير النسفي (٢/ ٤٨).

٢- انظر تفسيرالألوسي، في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وذلك تأدبًا في حقه تعالى، وتفاديًا من إيهام ما لا يليق بجلاله تعالى.

فما أذن الشارع في إطلاقه واستعماله جاز وإن أوهم كالصبور والشكور والحليم، فإن الصبور يوهم وصول مشقة لله تعالى؛ لأن الصبر حبس النفس على المشاق، فيفسر في حقه تعالى بأنه لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. والشكور يوهم وصول إحسان إليه؛ لأن معناه كثير الشكر لمن أحسن إليه، مع أن الإحسان كله من الله، فيفسر في حقه تعالى بأنه يجازي على يسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعما في الآخرة غير محدودة، أو هو المجازي على الشكر، أو هو المثني على من أطاعه.

وكذلك اسمه الحليم فهو يوهم وصول أذى إليه، وهو تعالى لا يصل إليه أحد بأذى، فيفسر في حقه تعالى بأنه لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

وهذا هو منهج أهل الحق في تلقي النصوص التي توهم تشبيه الخالق بالخلق أن تُؤَوَّل، بمعنى أن تحمل على خلاف الظاهر، أو تفوض أي يفوض المراد من النص الموهم إليه تعالى.

ويجب مع التأويل أو التفويض قصد التنزيه لله تعالى عما لا يليق به.



تفصيل شرح الأسماء الحسنى :

الرَّحْمَن الرَّحِيم: مشتقان من الرحمة، وهي في الأصل رقة في القلب، وتقتضي التفضل والإحسان، ولاستحالة ذلك في حقه تعالى فإن المقصود بهما غاية التفضل والإحسان أي إرادة إيصال الخير والثواب لمن يشاء الله من عباده ودفع الشر عنهم أزلًا، أو هي إيصال الخير لهم ودفع الشر عنهم فيما لا يزال، وعلى الأول يكون الرحمن والرحيم من صفات الذات، وعلى الثاني يكون من صفات الفعل.

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ بما ستر في الدنيا وأفاض من الخير على المحتاجين من عباده، و﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ بما غفر في العقبى، وجاد بالفضل والإنعام على العباد.

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ الذي إذا سُئل أعطى. ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الذي إذا لم يُسأل يغضب.

﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ بإزالة الكروب والعيوب. ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ بإنارة القلوب بالغيوب.

الرحمن بتعليم القرآن. والرحيم للمؤمنين بتشريف التسليم والتكريم.

قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن:١-٢]

وقال: ﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨]

أو الرحمن الرحيم بكل ذلك وهو الأولى.

والرحمن عند الأكثر أبلغ من الرحيم، ولذا اشتهر في الدعاء: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، ومعلوم أن رحمته تعالى في الدنيا شاملة للمؤمن والكافر والصالح والطالح، وذلك بإيصال الرزق وخلق الصحة ودفع الأسقام والمصائب، بخلاف رحمته في الآخرة، فإنها مختصة بالمؤمنين.

ومرتبة الرحمــة أعلى المراتب؛ ولذلك وصف الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقـال ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمـران: ١٥٩] وقـال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه فقال: **«أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبو بَكْرٍ»**.[1]

وفي الحديث: **«ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»**[2].

١- أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٦٦٤، حديث ٣٧٩٠)،وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في سننه (١/ ٥٥، حديث ١٥٤)، والنسائي في سننه الكبرى (٥/ ٧٨، حديث ٨٢٨٧)، والبيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٢١٠، حديث ١١٩٦٦) كلهم عن أنس بن مالك.

٢- أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٦٠، حديث ٦٤٩٤)، وأبو داود في سننه (٤/ ٢٨٥، حديث ٤٩٤١)، والترمذي في سننه (٤/ ٣٢٣، حديث ١٩٢٤)، وقال: حديث حسن صحيح. كلهم عن عبد الله بن عمرو.

وفيه «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[1].

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [الملك: ٢٩]

وقال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٠]

وقال: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصلت:٢]

وقال: ﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢]

وقال: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]

وقال: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾ [طه: ٩٠]

المَلِك: بكسر اللام، المتصرف في الممكنات بالأمر والنهي، أو المالِك لجميع الأشياء المتصرف فيها بإرادته وقدرته وحكمته، أو ذو الملك والعظمة والسلطان والغنى، أو المستغني بذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما سواه.

قال تعالى: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٢]

وقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ﴾ [الحشر: ٢٣]

وقال ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وهو الغني مطلقًا عن كل ما سواه، المحتاج إليه كل ما عداه.

والله تعالى ﴿ مَٰلِك ﴾. قال تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]. وهو أيضا مَالِكَ الْمُلْكِ. قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ

١- أخرجه البخارى في صحيحه (٥/ ٢٢٣٩، حديث ٥٦٦٧)، ومسلم في صحيحه (٤/١٨٠٩، حديث ٢٣١٩) كلاهما عن جرير بن عبد الله.

مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والله هو ذو الملكوت، قال تعالى ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [يس: ٨٣] والملكوت مبالغة في الملك كالرهبوت في الرهبة قال تعالى: ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٥].

وكل تصاريف الملك تعني القوة، فالمالِك يتصرف في ملكه كما يشاء، والملِك له سلطان على رعيته، والله سبحانه وتعالى هو المالِك الحقيقي للأكوان، ولا يكون في كونه إلا ما أراد، وهو الملِك الحقيقي لها ولا يكون في مُلْكِهِ إلا ما شاء، والمليك فعيل فهو مالك من كل وجه، وهو المالك على الحقيقة.

وكل من نُسب إليه الملِك والمُلك إنما هو على سبيل المجاز.

والله هو الملك الذي يَسْتغني عن كل أحد من كل جهة، والناس لا تَسْتغني عنه سبحانه وتعالى، بل تحتاج إليه في وجودها، وفي استمرار ذلك الوجود، وفي أرزاقها وحياتها بل ومماتها، وفي كل شيء يحيط بها، ولسنا مُلاَّكًا على الحقيقة، إنما المِلْك والمُلك هِبَة من الله عز وجل، يهبها من يشاء ومتى شاء وكيف يشاء، وينزعها كذلك.

فيستحي الإنسان إذا ما ذكر المَلِك الوهَّاب أن يُدْخِل في قلبه إلها آخر، ولا أن يعرف مالكا سواه، فتراه قويا في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، وتراه يفعل كل أفعاله لله لا ينظر لأحد سواه.

الْقُدُّوس: أي المُنَزَّه عن سمات النقص والعيوب وموجبات الحدوث، أو مَنْ تقدست عن الحاجات ذاته، وتنزهت عن الآفات صفاته، أو من تقدس عن مكان يحويه وعن زمان يبليه.

مشتق من القُدْسِ، وهو الطهارة والنزاهة؛ ولذا يقال: «البيت المقدس». أي الذي يتطهر فيه من الذنوب.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يقول في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: « سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ ».[1]

فربنا المنزه عن كل نقص وعما يخطر في بال.

وقد أمرنا تعالى بتحصيل الطهارة الظاهرة والباطنة، الظاهرة بأن نطهر أبداننا من الأنجاس والأحداث وثيابنا ومكان طهارتنا وصلاتنا، والباطنة أن نحسن الظن بالله تعالى ونحسن التوكل عليه وأن نرحم خلق الله جميعا.

وقيل لأمين الوحي جبريل: روح القدس؛ لطهارته من العيوب في تبليغ الوحي إلى الرسل. وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة: ٣٠]. أي نطهر أنفسنا لك.

السَّلاَم: أي ذو السلامة من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله، أو الذي يُسَلِّم يوم القيامة على أوليائه، فَيَسْلَمُون من كل مخوف، قال تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

وإن السلام اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقد جعله الله عز وجل تحيته إلى عباده في الجنة حيث قال: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨]، وقال: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠]. وتحية الملائكة للمؤمنين في الجنة السلام قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ

١- أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٥٣، حديث ٤٨٧) عن عائشة رضي الله عنها.

عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣]، وسَمَّى الجنّةَ دَارَ السلامِ حيث قال: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥] وقال: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وأهل الجنة لا يسمعون من القول ولا يتحدثون بلغة غير لغة السلام قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦]. وقد جعل سبحانه وتعالى الهداية إلى سبل السلام جزاء لمن اتبع هديه وأطاعه، قال تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٦]. وأمر المؤمنين أن يجعلوا السلام تحيتهم يلقيها بعضهم على بعض، وشعارهم في جميع مجالات الحياة في المسجد والمعهد والمصنع والمتجر، فالسلام شعارٌ يُلقيه المسلم على صاحبه كلما لقيه وكلما انصرف عنه. وجواب المؤمنين ردًّا على الجاهلين هو السلام: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]. والسلام يلقيه المسلم كل يوم خمس مرات على الأقل في خاتمة الصلوات المفروضة بقوله: السلام عليم ورحمة الله وبركاته. مرتين.

المُؤْمِن: أي المُصَدِّق نفسه وكتبه ورسله فيما بلغوه عنه، إما بالقول، وإما بخلق المعجزات، مأخوذ من الإيمان وهو التصديق، أو المُؤَمِّن عبادَه من المخاوف بخلق الطمأنينة في قلوبهم، أو بإخبارهم أن لا خوف عليهم، من الأمن ضد الخوف. قال تعالى: ﴿ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

المُهَيْمِن: الرَّقِيب الحافظ لكل شيء، المُبَالِغ في المراقبة والحفظ، أو الشاهد على خَلْقِه بما يصدر منهم من أقوال وأعمال، فهو العَالِم الذي لا يَعْزُب عنه مثقال ذرة في الأكوان، وهو الرقيب عليهم لقوله: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: ٤٦]

أو مَنِ اجتمع فيه العلم بجميع الأشياء والقدرة التامة على تحصيل جميع المصالح، والمواظبة على تحصيلها، ولن يجتمع ذلك على الكمال إلا لله تعالى وحده، أو الذي يعلم السر والنجوى ويسمع الشكر والشكوى، ويدفع الضر والبلوى، قال تعالى: ﴿ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

الْعَزِيز: الغالب الذي لا يغلب فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه، من العزة وهي القوة والشدة والغلبة ومنه: ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٣] أي غلبني.

أو الذي لا مثيل له ولا نظير، أو الذي يستحيل وجود مثله، وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤]. وقال: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [هود: ٦٦].

الجَبَّار: الذي يَقْهَر عباده على كل ما يريد ويقسرهم عليه، أو المنيع الذي لا يُنَال. يقال للنخلة إذا طالت وقصرت الأيدي عن أن تنال أعلاها: نخلة جبارة.

أو هو المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه إصلاحهم من جَبْرِ الكسر إذا أصلحـــه، والله تعالى مصلح لأمور الخلق كلهم، قال تعالى: ﴿ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

المُتَكَبِّر: البالغ الكبرياء والعظمة، أو الذي تكبر عما يوجب نقصانًا أو حاجة، أو المتعالي عن صفات المخلوقات بذاته وصفاته العلية، أو الملك الذي لا يزول سلطانه، والعظيم الذي لا يجري في ملكه إلا ما يريد، أو كل ذلك.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ

ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر:٢٣]، ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية: ٣٧]. وهو تعالى الكبير الذي لا أكبر منه قال تعالى: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

الْخَالِق: المُقَدِّر للأشياء المكون لها على مقدار معين بقدرته وإرادته وعلمه وحكمته، قال تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

قال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]

فالخلق هو التقدير المستقيم، والأمر هو ما ذكر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة:من الآية ١١٧]

أو الخالِق هو المبدع للأشياء الموجد لها من غير أصل ولا احتذاء. قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] أي: أبدعناه وأوجدناه بقدر.

وقال: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [الواقعة: ٦٠]

وقال: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]، أي: أبدعه وأوجده فقدّره بمقدارٍ معين.

وقال: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم ﴾ [فاطر: ٣]، أي: مِنْ مُوجِد ومبدع غيره تعالى يرزقكم؟! كلا

وقال: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أي كما أبدعنا وأوجدنا الخلق أولا نعيده ثانيًا بقدرتنا.

قال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]. أي الموجد المبدع لكل شيء أو المقدر لكل شيء بعلمه وقدرته وإرادته وحكمته.

الْبَارِئ: الْمُوجِد للأشياء متناسبة الأجزاء، مأخوذٌ من البَرْء،وأصله خُلُوص الشيء عن غيره، فهو أخص من الخالق، أو المقدر لها مقاديرها بحكمته قال تعالى: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤]، أو معناه المميز للأشياء بعضها عن بعض بالأشكال المختلفة، أو كل ذلك.

الْمُصَوِّر: الذي صَوَّر جميع الموجودات ورتبها على اختلافها وكثرتها وتنوعها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها عن غيره، أو المبدع لصورها وكيفياتها كما أراد، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ [الأعراف: ١١]، وقال: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التغابن: ٣]، فأعطاكم الصور الحسنة التي أرادها لكم.

فالله تعالى يخلق الأشياء ويقدّر مقاديرها ويبرئها ويصورها على حسب الحكمة والمصلحة جل جلاله قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

الغفّار: الذي أسبل الستر على الذنوب في الدنيا وتجاوز عن عقوبتها في الآخرة، من الغفر بمعنى الستر لغة، ويطلق مجازًا على العفو والصفح.

قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢]

قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠].

وقال: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [ص:٦٦]. وهو تعالى غافر وغفور. قال تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ [غافر: ٣]، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ

إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

والغفور أبلغ من الغافر، والغفَّار أبلغ من الغفور؛ لأنه وُضِعَ للتكثير؛ ومعناه أنه يغفر الذنب أبدًا، والله ذو مغفرة قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الرعد: ٦].

القهَّار: الذي طاحت عند صولته صولة المخلوقين، وبادت عند سطوته قوى الخلائق أجمعين، أو الذي يقصم ظهور الجبابرة، فيقهرهم بالإذلال والإهانة والنكبات والإهلاك، من القَهْرِ وهو الغلبة، وصرف الشيء عما طُبع عليه بالقسر، أو كل ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥]، ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩]، ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦] والْقَهَّارُ مبالغة في القاهر، وهو تعالى القاهر والغالب على أمره قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨]. وقال: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

الوَهَّاب: جزيل العطاء والنوال، كثير المنِّ والإفضال، عظيم اللطف والإقبال يعطي من غير سؤال، ولا يقطع نواله عن العبد بحال، والوَهَّاب مبالغة في الوهب، من الهبة، وهي التمليك بغير عوض قال تعالى: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ [ص: ٩].

الرَّزَّاق: المتولي خَلْق الأرزاق المتفضل بإيصالها إلى العباد والمسبب لها الأسباب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وهو مبالغة في حد الرازق قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [الجمعة: ١١]، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [الحج:

٥٨]، يرزق من يشاء، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [الشورى: ١٩]، ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧]، ورزق الله تعالى لعباده رزقان: رزق الأبدان بالأطعمة والأكسية ونحوها، ورزق الأرواح بالعلوم والمعـارف والإدراكات الصحيحة والإلهامات الصادقـة، وهو أشرف الرِّزْقَيْن؛ فإن ثمرته حياة الأبد في سعادة، وثمرة رزق الظاهر قوة البدن إلى مدة قريبة الأمد، وقد تكون في شقاوة.

الْفَتَّاح: الحاكم بين الخلائق، مبالغة في الفاتح من الفتح بمعنى الحكم، والله تعالى قد ميَّز الحق من الباطل، فأوضح الحق وبَيَّنَهُ، وقضى به، ودحض الباطل وأظهره، وحكم ببطلانه، أو الذي يفتح خزائن الرحمة والخيرات والنصرة والظفر والمعارف على عباده ويُسهِّل لهم ما كان صعبًا، ويُيسِّر ما كان عسيرًا من أمور الدنيا والدين.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩]، ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿ رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٦].

الْعَلِيم: المحيط علمه بكل شيء فلا تخفى عليه خافية ولا تعزب عن علمه قاصية ولا دانية قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٨٦]، ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [الأنعام: ٩٦]، ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الأنفال: ٤٣].

وهو تعالى عالم قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ

خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٦- ٢٧]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٣٨]، «وعلّام» قال تعالى: ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وأعْلَم بكل شيء، قال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٤]، ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة: ٣٢]، ومُعَـلِّم الخيـر، قـال تعـالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٢]، ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥].

ولم يرد في القرآن ولا في السنة في حق الله تعالى تسميته «علاّمة» صيغة مبالغة من العلم، ولا يجوز إجماعًا أن يقال له تعالى: علّامة؛ لأنها تقال لمن ترقى في العلم من القلة إلى الكثرة والكمال في العلم بسبب التكلف والارتياض، والله تعالى منزّه عن ذلك. وعلمه تعالى مخالف لعلم العباد؛ لأنه غير مُسْتَفَادٍ بآلات وحواس، وممتنع التغير والزوال ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]، ومحيط بكل شيء ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت: ٥٤].

الْقَابِضُ الْبَاسِطُ: مُضيّقُ الرزق على من شاء، وموسّعُه على من أراد بحكمته، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي يضيق [الرعد: ٢٦]، ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٢٧] أي بتقدير محكم حكيم ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧]، ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

أو هو سالب الرزق تارة ومعطيه أخرى، أو قابض الأرواح من الأشباح عند الممات وناشرها في الأجساد عند الحياة، أو يقبض السحاب ويبسطه في السماء قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا ﴾ قِطَـعًا ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ ﴾ المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ﴾ [الروم: ٤٨]، أو قابض القلوب وباسطها في مداركها وعلومها ومعارفها حسب إرادته وحكمته، أو كل ذلك له تعالى.

والأحسن الأليق في هذين الاسمين وما ماثلهما أن يُقْرَن أحدهما في الذكر بالآخر؛ ليكون ذلك أدل على القدرة والحكمة -كما قدمنا- فهو تعالى: «القابض الباسط».

الْخَافِضُ الرَّافِعُ: الواضع من عصاه، والرافع من تولّاه حقًا وعدلًا، أو المضلّ والمرشد في الدين، أو مسقط الدرجات ومعليها في الدنيا.

قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ [الواقعة١:٣]، فالقيامة خافضة للكفار في أسفل الدركات رافعة للأبرار في أعلى الدرجات.

وقال: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤]، ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٧]، فهو تعالى: «الخافض الرافع».

الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ: أعزَّ تعالى أولياءه فضلاً بعظمته ثم غفر لهم برحمته، ثم أحلَّهم دار كرامته وأذلَّ أعداءه، عدلاً بعصيانهم وارتكابهم مخالفته، ثم بوّأهم دار عقوبته وأهانهم بطرده ولعنته. قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ ﴾ وهم اليهود ﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ

أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

وقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فالله تعالى هو المعز وهو المذل لعباده بقدرته وحكمته فضلًا وعدلًا.

السَّمِيع البَصِير: المتَّصِفُ بالسمع والبصر لجميع الموجودات بدون حاسة أو آلة، فيعلم تعالى جميع المبصرات والمسموعات تمام العلم، وتنكشف له وتتجلى تمام الانكشاف والتجلي، ونسبة الانكشاف والتجلي الحاصل له تعالى إلى الانكشاف والتجلي الحاصل للعباد كنسبة ذاته العلِّية إلى ذواتهم، ووجوده تعالى إلى وجودهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨]، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١٣]، ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧١]، ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

الْحَكَم: بِفَتْحَتَيْن، الحاكم الذي لا مَرَدَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، وقد وصف الله نفسه بأنّه أحكم الحاكمين فقال: ﴿ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٩]، ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وحكم الله تعالى بجميع الكليات والجزئيات حاصل من الأزل إلى الأبد في كل شيء، ومقدّر بأوقات مخصوصة وأحوال مخصوصة، لا يجوز على المتقدم أن يتأخر ولا على المتأخر أن يتقدم: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

الْعَدْل: العادل، أقيم المصدر مقام الفاعل، كالْبَرّ أقيم مقام البارّ، وحقيقته ذو العدل الذي لا يفعل إلا ما ينبغي له فعله وما يليق به سبحانه.

وهو تعالى خير الحاكمين وأعدل الحاكمين، والآمر بالعدل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾ [النساء: ٥٨].

اللَّطِيف: هو الذي لطفت أفعاله وحسنت، أو الذي لا تدركه الحواس، أو العليم بخفيات الأمور ودقائقها، أو الذي يعلم دقائق المصالح وغوامضها ثم يسلك في إيصالها لمستحقيها سبيل الرفق دون العنف.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [الشورى: ١٩]، وقال تعالى على لسان يوسف؛ تبيانًا للطفه به ورفقه، بعد أن ألقاه إخوته في الجبّ: ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ [يوسف: ١٠٠] ا.هـ بتصرف.

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

الْخَبِير: العليم ببواطن الأمور وخفياتها من الخبرة، وهي العلم بالخفايا الباطنة قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، أي ببواطن أموركم، ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧]، ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [العاديات: ١١]، ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧].

الْحَلِيم: الذي لا يعجل بالانتقام مع غاية الاقتدار، أو الذي يعزم على عدم الانتقام ولا يظهر ذلك، فإن أظهره كان عفوًا، وسُمِّي عفوًا.

أو هو الذي لا يستخفه عصيان عاصٍ ولا يستفزه طغيان طاغ، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٩]، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥١].

الْعَظِيم: الَّذي لا تصل العقول إلى كنه ذاته، ولا تحيط الأبصار بسرادقات عزته، أو الذي ليس لِكُنْه جلاله نهاية، ولا لعظمته بداية.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤].

فالله تعالى أعظم من كل عظيم في ذاته ووجوده وعلمه وقدرته وسلطانه وحكمته ونفاذ حكمه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

الْغَفُور: كثير المغفرة والستر للذنوب، فلا يؤاخذ من شاء من عباده بها، من الغفر وهو السِّتْر.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ [الرعد: ٦]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك: ١٢]، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٩٩]، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢]، ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

الشكور: الْمُثْنِي على الْمُصْطَفِين من عباده، أو الذي يُعْطِي الثواب الجزيل على العمل القليل، فيقبل اليسير من الطاعات، ويعطي الكثير من الدرجات، والشكور مبالغة من

الشاكر وهو من الشكر، وأصله الزيادة يقال: شكير الشجرة. لما نبت في أصلها من القضبان الصغار، وشكرت الأرض إذا كثر نباتها، وناقة شكيرة إذا كانت ممتلئة الضرع من اللبن.

وقال الراغب: الشكر من العباد ثلاثة أضرب: شكر القلب، وهو تصوّر النعمة وإدراكها، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر الجوارح، وهو مكافأة المنعم بقدر استحقاقه كما قال تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ [سبأ: ١٣]، وأما في حقه تعالى فمعناه إنعامه تعالى على عباده الطائعين ومثوبته لهم على ما أدوا من العبادة والطاعة ا.هـ[1].

وإذا شكر العبد ربه على نعمه زاده نعمًا وأفضل عليه، كما قال تعالى ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧] وذلك من مزيد الفضل والعطاء. ولا شكور في الحقيقة إلا الله تعالى الذي يعطيك مع استغنائه عنك وأنت منكره مع افتقارك إليه.
قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى: ٢٣]، ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٧].

والله تعالى شاكر، قال تعالى ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧].

وهذا الشكر فضل منه تعالى ونعمة فهو يعطي عباده ويجزل العطاء مع استغنائه عنهم ويشكرهم على قيامهم بحقه وشكر نعمائه مع افتقارهم إليه قال تعالى ﴿ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

الْعَلِيُّ: البالغ الغاية في علو الرتبة إلى حيث لا رتبة إلّا وهي منحطة عنه، أو الذي علا بذاته وصفاته عن مدارك الخلق بالْكُنْه والحقيقة، مشتقٌ من العلو مقابل السفل، أو الذي تاهت الألباب في جلاله وعجزت عن وصف كماله.

---

١ - انظر: المفردات في غريب القرآن، ص: ٢٦٥.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[الحج: ٦٢]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢]، ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

وفي (اللوامع) أن علوه تعالى يرجع إلى أحد أمور ثلاثة: إلى أنه لا يساويه شيء في الشرف والمجد والعزة، فيكون هذا الاسم من أسماء التنزيه، أو إلى أنه قادر على كل شيء والكل تحت قدرته وقهره، فيكون من أسماء الصفات المعنوية، أو أنه يتصرف في الكل بقدرته، فيكون من أسماء الأفعال. ا.هـ

وهو تعالى الأعلى من كل شيء، قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلى: ١-٥]، ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل: ٢٠].

الْكَبِير: الذي كبر وعلا في ذاته وصفاته وأفعاله عن مشابهة مخلوقاته، أو الذي فاق مدح المادحين ووصف الواصفين، فهو أكمل الموجودات وأشرفها، أو ذو الكبرياء والعلو والعظمة والرفعة والتنزه عن أوهام الخلق ومداركهم فله تعالى كبرياء الذات والصفات والأفعال.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [لقمان: ٣٠]، ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

الْحَفِيظ: البالغ الغاية في الحفظ لما يريد حفظه، مبالغة في حافظ من الحفظ بمعنى ضد السهو. أو بمعنى الحراسة، فهو تعالى حافظ السموات والأرض.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ [فاطر: ٤١]، ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لا يثقله ولا يشق عليه، وحافظ كتابه من التحريف والتبديل

والتغيير قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وحفيظ على كل شيء قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [هود: ٥٧]، ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ٢١]، وحفيظ على أعمال خلقه ومحصيها عليهم للحساب والجزاء قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الشورى: ٦].

الْمُقِيت: المتكفل بأرزاق خلقه وإعطائهم أقواتهم، أو الحفيظ، أو خالق الأقوات، أو المقتدر من قولهم: قاته يقوته قوتًا. أطعمه قوته، وأوقته يقيته جعل له ما يقوته.

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء: ٨٥].

وفي الحديث: **«كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»** أو **«يقيت»**(١).

الْحَسِيب: الكافي، تقول العرب: نزلت بفلان فأكرمني وأحسبني، أي أعطاني ما كفاني حتى قلت له: حسبي. أي كافٍ.

ومنه قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] قال ابن عباس: أي كافيك الله وكافيهم وكل كفاية إنما هي من الله تعالى.(٢)

١- أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٦٠، حديث ٦٤٩٥)، وأبو داود في سننه (٢/ ١٣٢، حديث ١٦٩٢)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٥١)، حديث ٤٢٤٠، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧٥، حديث ١٥١٥)، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، كلهم عن عبد الله بن عمرو، وقوله: (أو يقيت) أشار لها صاحب عون المعبود بقوله: (قال السندي: من يقوت من قاته أي أعطاه قوته، ويمكن أن يجعل من التفعيل وهو موافق لرواية من يقيت من أقات أي من تلزمه نفقته من أهله وعياله وعبيده) انظر: عون المعبود (٥/ ٧٦).

٢- انظر: فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٣٢٤).

أو الحسيب بمعنى المحاسب كالنديم بمعنى المنادم، ثم يعبر به عن المكافئ بالحساب قال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، أي محاسبًا لهم على أعمالهم وكافئًا لهم عليها، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦].

ومحاسبة الله تعالى عباده يوم القيامة تذكيرهم بما عملوا في الدنيا من الحسنات والسيئات وتعريفهم جزاءها من المثوبات والعقوبات.

قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

الْجَلِيل: الكامل في ذاته وجميع صفاته، أو العظيم القدر الذي له الجلال والعظمة والكمال في ذاته وجميع صفاته، أو الذي يستحق أن يعترف بجلاله وكبريائه العاقلون ولا يجحدوا ألوهيته ولا يكفروا به.

ولم يذكر في القرآن هذا الاسم، وإنما وصف الله فيه نفسه بذي الجلال والإكرام، إما لخلقه الأشياء العظيمة التي يستدل بها عليه، أو لأنه يجلّ عن الإحاطة به ذاتًا وصفاتًا أو أنه يجلّ عن أن يدرك بالحواس.

ولا يستحق أن يوصف بهذا الوصف حقيقة غيره تعالى، قال تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨].

الكَرِيم: هو الذي لا يضيع من توسّل إليه، ولا يترك من التجأ إليه، وإذا أضيف الكرم إلى الله تعالى فهو اسم لكمال إحسانه وإنعامه، يبتدئ بالنعمة من غير إيجاب،

ويتبرع بالإحسان من غير سؤال، ويعفو عن السيئات؛ ويغفر الذنوب ويخفي العيوب، ويكافئ بالثواب الجزيل على العمل القليل، وقد جعل كل ما في الأرض لمنفعة عباده.

قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩]، وأعد للمتقين في الآخرة جنة عرضها كعرض السموات والأرض، وسخر للإنسان كل ما في السموات والأرضين فقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣] وهو تعالى أكرم الأكرمين، قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ [العلق: ٣] وهو الكريم المنعم المتفضل قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦-٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠].

الرَّقِيب: الحفيظ الذي لا يغفل، أو الحاضر الذي لا يغيب، أو العليم الذي لا يعزب عنه شيء من أحوال خلقه، يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد، ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ويعلم ما في البرّ والبحر، ويعلم ما في الصدور ويعلم أقوالهم وأحوالهم، وهو بكل شيء عليم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، وقال: ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٥٢]. والعبد إذا وصف بالرقيب فمعناه الموكل بحفظ الأشياء المترصد لها المحترز عن الغفلة عنها، يقال: رقبت الشيء أرقبه رقبة إذا راعيته وحفظته.

المُجِيب: الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، أو الذي يجيب المضطرين ولا تخيب لديه آمالُ الطالبين.

قال تعالى ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١]، ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩]، ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢].

الْوَاسِع: الذي فضله شامل، ونواله كامل، أو المتسع علمه فلا يجهل، والمحيطة قدرته فلا يعجز، والغزير فضله فلا يبخل.

قال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة :٢٥٥] أي وسع علمه أو ملكه الكائنات، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وهو عبارة عن سعة علمه وقدرته وأفضاله ورحمته، قال تعالى: ﴿ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الأنعام: ٨٠] ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]

الْحَكِيم: المصيب في التقدير والمحسن في التدبير، أو ذو الحكمة وهي كمال العلم وإحسان العمل، أو المنزّه عن فعل ما لا ينبغي له ولا يليق بجلاله وكماله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٨]، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦٢].

والحكمة في حق الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام والإتقان والكمال، وفي حق العبد الإصابة في القول والعمل بقدر الطاقة البشرية قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢]، ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ووصف الله القرآن بالحكيم فقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يونس: ١]، لتضمّنه الحكمة أو لكونه محكمًا، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

الْوَدُودُ: المحبّ للطائعين من عباده، المتحبب إليهم بإنعامه وإحسانه، من الودّ وهو الحبّ، ومحبة الله لعباده هي الإنعام عليهم والإحسان إليهم والرضا عنهم والثناء عليهم والعفو عنهم والغفران لذنوبهم، أو المتحبب إلى أوليائه بمعرفته، وإلى المذنبين بعفوه ورحمته، وإلى العامة برزقه وكفايته، أو المودود في قلوب أوليائه لكثرة وصول إنعامه وإحسانه إليهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠]، ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج: ١٤].

الْمَجِيد: البالغ الغاية في المجد الأعلى والشرف التام، أو الشريفة ذاته، الجميلة أفعاله الجزيل إنعامه ونواله، من المجد وهو الشرف التام الكامل، أو السعة. يقال: رجلٌ ماجد إذا كان سخيًا مفضلًا كثير الخير.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣]، ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ [البروج: ١٥]، وقد وصف الله كتابه بالمجيد بقوله: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ [ق: ١] لكثرة ما تضمنه من العلوم والمكارم والمقاصد العليا والفوائد الدنيوية والأخروية وعلى هذا وصفه أيضًا بالكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٧].

الْبَاعِث: باعث الرسل الكرام إلى الخلق، وباعث الموتى يوم القيامة للحساب والجزاء، وباعث الهمم إلى معالي الأمور، والباعث الذي يصفّي السرائر عن الهوى وينقّي الأعمال عن الدنس، مشتق من البعث وهو الإثارة والإنهاض، يقال: بعث بعيره فانبعث.

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[التغابن: ٧]، ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا أَمَدًا ﴾ [الكهف: ١٢]، ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٠]. فالله هو الباعث جل جلاله.

الشَّهِيد: البالغ الغاية في علمه بالأمور الظاهرة المشاهدة، صيغة مبالغة في الشاهد كالعليم في العالم، وأما البالغ الغاية في العلم بالأمور الباطنية الغائبة فهو «الخبير»، أو الشهيد المبيِّن توحيده وعدله وصفات جلاله بنصب الدلائل ووضع البينات عليها، وقد فسَّر بعضهم ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨]، بنصبه الدلائل على توحيده، قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ [العاديات: ٧]، ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩]، ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١]، ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧].

الْحَقُّ: المتحقق الثابت وجوده أزلًا وأبدًا فلا يقبل الانتفاء بحال، أو الحقيق بالعبادة، والحقُّ يقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة؛ ولذا قيل في الله تعالى هو الحق، فقال تعالى: ﴿ وَرُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ [يونس: ٣٠]، وقال بعد ذلك: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس:٣٢]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٦]، أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم بأطوارهم المختلفة، وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من الحكم ودلائل القدرة والحكمة حاصل بسبب أن الله تعالى هو الحق الثابت الوجود، وأنه يحيي الموتى ويبعثهم من القبور كما أحيا الأرض الميتة، وأنه قادر على كل شيء ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[لقمان: ٣٠].

أي ذلك الذي ذكر من عجائب القدرة والحكمة التي يعجز عنها الخلق جميعًا بسبب أنه تعالى هو الحق الثابت الألوهية وأن ما دونه باطل وأنه تعالى هو العلي الشأن الكبير السلطان.

الْوَكِيل: الموكول إليه أمور العباد ومصالحهم المتصرف فيها كما يشاء، وقد وكل العبادُ إلى الله تعالى أمورَهم واعتمدوا على إحسانه لعجزهم عن تحصيل مهماتهم وقدرته تعالى عليها.

قال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء: ٨١]، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣] كافيه قال تعالى ﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]

وقد قيل: الله الوكيل؛ ابتداك بكفايته، ثم تولاك بحسن رعايته، ثم ختم لك بجميل ولايته -سبحانه وتعالى-.

الْقَوِيُّ: الكامل القدرة إلى أقصى الغايات فلا يعجز عن شيء بحال قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥]، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

أي: لو يرى أولئك الذين اتخذوا من دون الله أصنامًا يعظمونها إذ يرون في الآخرة العذاب الشديد أن القدرة لله وحده على كل شيء من الثواب والعقاب دون أصنامهم، ويعلمون شدة عذابه للجاحدين لكان منهم ما لا يدخل تحت الحصر من الندم والحسرة.

الْمَتِين: شديد القوة فلا يضعف بحال عما يريد، مشتق من المتانة، وهي شدة الشيء واستحكامه وصلابته، وهو مبالغة في معنى (القوي) قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨].

الْوَلِيُّ: المتولي أمور الخلق كلها، والمتكفل بها جميعها، أو الناصر، من الولاية بمعنى تولى الأمور أو النصرة، والولي والوالي.

قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي متولي أمورهم أو ناصرهم، ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٠٧]، ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام: ٥١]، ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ أي ممن يلي أمرهم [الرعد: ١١]، ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الكهف: ٤٤]، أي النصرة لله الحق وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه.

الْحَمِيد: الحامد لنفسه بقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، أو المحمود بحمده لنفسه، أو بحمد عباده له قال تعالى ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، والحمد هو الثناء، أو هو المستحق للحمد والثناء لجلال ذاته وعلو صفاته وعظم قدره قال تعالى ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]، ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [الحج: ٢٤] ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣].

الْمُحْصِي: العالم بجميع الموجودات وعدد حركاتهم وسكناتهم وجميع شئونهم وأعمالهم، أو الذي يحصي الأعمال ويعدّها يوم القيامة للحساب والجزاء.

قال تعالى: ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾ [الجن: ٢٨]، ﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦]، ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢]، أي في اللوح المحفوظ أصل

الكتب كلها ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴾ [النبأ: ٢٩] فالله تعالى هو المحصي لا غيره.

الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ: الخالق ابتداء والخالق انتهاء، فهما إشارة إلى النشأتين الأولى والأخرى. قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ [البروج: ١٣]، ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الروم: ١١].

فالله تعالى المبدئ المعيد لا غيره.

الْمُحْيي الْمُميت: يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها ويميتها بنزعها منها، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣]، ﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٦]، ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨]. فالله تعالى هو المحيي المميت لا غيره.

الْحَيُّ: المتصف بالحياة الأبدية التي لا بداية لها ولا نهاية، فهو الباقي أزلًا وأبدًا قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: ٦٥]، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

الْقَيُّومُ: عظيم القيام بتدبير خلقه، القائم على كل نفس بما كسبت، وهو صيغة مبالغة من القيام قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١].

قال الراغب معنى «القيوم» في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ أنه تعالى القائم الحفيظ لكل شيء والمعطي له ما به قوامه وهو كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠] وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ ﴾ [الرعد: ٣٣]. [١] اهـ

وعن ابن عباس: إن أعظم أسماء الله تعالى الحي القيوم[٢].

وعَنْ عَلِيٍّ -كرَّمَ الله وجهه- قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قَاتَلْتُ شَيْئًا مِنْ القِتَالِ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُ، فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ، يَقُولُ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ» لاَ يَزِيدُ عَلَيْه، ثُمَّ جِئْتُ وَهُوَ يَقُولُ ذَلِكَ، فَلَا أَزَال أَذْهَبُ وَأَرْجِعُ وَأَنْظُره لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَن فَتَحَ اللَّهُ لَهُ.[٣] ا.هـ

الْوَاجِدُ: لم يرد هذا الاسم في القرآن، لكنه مجمعٌ عليه، ومعناه الغني، مِنْ وَجَدَ وَجْدًا وَجِدَةً إذا استغنى، أو العالِم، مِنَ الوجدان بمعنى العلم. يقال: وجدت فلانا فقيهًا. أي: علمت كونه كذلك، أو الذي يجد كل ما يطلبه ويريده ولا يعوزه شيء من ذلك،

قال تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾ [الضحى: ٧-٨]، ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [ص: ٤٤]، فالله تعالى هو الواجد.

١- المفردات في غريب القرآن (ص ٤١٧).

٢- التفسير الكبير للرازي (٧/ ٤).

٣- أخرجه النسائي في سننه الكبرى (٦/ ١٥٦، حديث ١٠٤٤٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٤، حديث ٨٠٩)، وقال: حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٤٠٤، حديث ٥٣٠)، والبزار في مسنده (٢/ ٢٥٤، حديث ٦٦٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٧): رواه البزار وإسناده حسن، ورواه أبو يعلى بنحوه كذلك.

الْمَاجِد: المجيد من المجد وهو الشرف التام الكامل أو السعة كعالِم وعليم من العلم وقادر وقدير من القدرة، وتقدم تفسيرًا لمجيد، وأنه دال على كثرة الإحسان والإفضال. والماجد تأكيد لمعنى اسم الواجد، أي الغني المغني،ولم يرد هذا الاسم في القرآن ولكن مجمع عليه.

الوَاحِد: الذي لا ثاني له في الوجود، فهو المنفرد ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا بالألوهية والربوبية والأزلية والخلق والتدبير لا مشارك له في شيء من ذلك.

قال تعالى ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴾ [الصافات: ٤-٥]، أي مطالع الشمس وكذلك رب المغارب.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] بمعنى واحد، وقد استأثر الله بهذا الوصف في الإثبات دون النفي، والواحد والأحد كالرحمن والرحيم.

الصَّمَد: المقصود في الحوائج على الدوام لعظم قدرته وكمالها، من صمد إليه إذا قصده، فهو تعالى السّيد المصمود إليه، والمقصود في جميع الشئون.

وعن ابن مسعود: الصمد هو السيد الذي عظم سؤدده[1].

وهو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب.

الْقَادِر الْمُقْتَدِر: ذو القدرة التامة الذي لا يَعْجِزُ عن شيء.

١- انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٧٤٠).

قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ [الطارق: ٨-٩]، وقال: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٨] أي بالماء الذي سلكناه في الأرض بقدرتنا. ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٢٣]، ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ٣-٤]، ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥]، ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٢]، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]

والمقتدر أبلغ من القادر والله تعالى قدير: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾ [المائدة: ١٢٠]، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤] ولم يعدّ في الأسماء التسعة والتسعين، ولكنه ورد في القرآن الكريم في عدة آيات[1]، وهو مبالغة من القادر كالعليم من العالم.

الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ: يقدم من يشاء ويؤخر من يشاء عن بابه وجنابه بقدرته وعلمه وحكمته، أو يقرب ويبعد، فمن قرّبه فقد قدّمه ومن أبعده فقد أخّره.

قال تعالى ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴾ [ق: ٢٨]، ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ [هود: ١٠٤]، فهو المقدم والمؤخر ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ [الحجر: ٢٤]، وهذان الاسمان لم يردا في القرآن، ولكنهما مجمعٌ عليهما.

الأَوَّلُ الآخِرُ: الأول القديم الأزلي قبل كل شيء بلا بداية، والآخر الباقي الأبدي بعد كل شيء بلا نهاية.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

١- يعني قوله تعالى: ﴿ ...عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ جزء آية من سور البقرة: ٢٨٤، آل عمران: ٢٩، ١٨٩، الأنفال: ٤١، الأنعام: ١٧، هود: ٤، النحل: ٧٧، الحج: ٦، الطلاق: ١٢، والتحريم: ٨، وغيرها

الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ: الظاهر بآياته ومصنوعاته، والباطن بكنه ذاته وصفاته قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

قال الراغب: الظاهر والباطن في صفات الله تعالى لا يُقالان إلا مزدوجتين كالأول والآخر، والمحيي والمميت، والمعز والمذل، والخافض والرافع، فالظاهر إشارة إلى معرفتنا البديهية، فإن الفطرة تقتضي في كل ما نظر إليه الإنسان أنه تعالى موجود، والباطن إشارة إلى معرفته الحقيقية، وهي التي أشار إليها الصديق رضي الله عنه بقوله: «يا من غاية معرفته القصور عن معرفته». وعن علي رضي الله عنه: «تجلى الله لعباده من غير أن يروه، وأراهم نفسه من غير أن يتجلى لهم، ومعرفة ذلك تحتاج إلى فهم ثابت وعقل وافر».[1]

الْوَالِي: المالك للأشياء المتولي لها المتصرف فيها بمشيئته وحكمته ينفذ فيها أمره، ويجري عليها حكمه، ولم يرد هذا الاسم في القرآن، لكنه مجمعٌ عليه، وإنما ورد (الولي) وتقدم تفسيره، وورد (المولى) بمعنى الناصر والمعين. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١] وأصل الكلمة من الولي، وهو القرب المقتضي للنصرة والموالاة، والله تعالى هو الولي الناصر، والوالي المالك والمتصرف، والمولى الناصر والمعين.

الْمُتَعَالِي: البالغ الغاية في العلو والارتفاع عن النقائص، قال تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٩]، أي المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي استعلى على كل شيء بكمالاته، فهو تعالى العلي والمتعالي بعظمته.

---

١ - انظر: مفردات غريب القرآن (ص: ٥٢).

الْبَرُّ: فاعل البر والإحسان، يحسن على عباده بالخير، أو البار وهو الذي لا يصدر عنه القبيح.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٨]، أي المتوسع في فعل الخير لعباده بما قسم لهم من الصحة والمال والجاه والأولاد والأنصار، ومن الإيمان والطاعة والثواب للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم: ١٤]، ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٣٢]، وجَمْعُهُ بَرَرَة، قال تعالى في وصف الملائكة: ﴿ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس: ١٦]، وأما أبرار فهي جمع بار، وبر أبلغ من بار.

التَّوَّاب: الذي يقبل التوبة ويعفو عن السيئات كثيرًا، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى: ٢٥]

وقال: ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠]، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

وهو مبالغة في التائب من التوبة بمعنى العودة والرجوع، يقال: تاب. أي: رجع، فمعنى كونه تعالى توابًا كونه كثير العود بأصناف إحسانه على عباده، وذلك بأن يوفقهم بعد الخذلان ويعطيهم بعد الحرمان، ويخفف عنهم بعد التشديد، ويعفو عنهم بعد الوعيد، ويكشف عنهم أنواع البلاء، ويفيض عليهم أنواع الآلاء، فهو تعالى ناسخ المكروه بالمحبوب وقابل التوبة من الذنوب وكاشف الضر عن المكروب.

ومعنى التوبة في حق العبد رجوعه إلى الندم والتأسف والتحسر، وإلى العبودية والطاعة والإنابة إلى الله وطلب العفو والغفران، قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ

ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ٣٩- ٤٠].

الْمُنْتَقِم: المعاقب للعصاة على مكروهات الأعمال والأقوال، من النقمة وهي العقوبة قال تعالى: ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢]، ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ٤]، ﴿ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٤١]، ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ﴾ [الروم: ٤٧].

الْعَفُوُّ: ذو العفو، وهو ترك المؤاخذة على الذنب والتجافي عنه، أو هو إزالة الذنوب بالكلية ومحوها من ديوان الكرام الكاتبين، من العفو بمعنى الإزالة والمحو يقال: عفت الديار. إذا درست ذهبت آثارها، فالله تعالى بعفوه يمحو الذنوب وآثارها، والعفو أبلغ من المغفرة، وهي مشتقة من الغفر بمعنى الستر، والمحو أبلغ من الستر.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [الحج: ٦٠]، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٩٩].

الرَّؤُوفُ: ذو الرأفة وهي نهاية الرحمة، أو هو المتعطف على المذنبين بالتوبة، وعلى أوليائه بالعصمة قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٩]، ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

مَالِكُ الْمُلْكِ: هو القادر التَّام القدرة، الذي ينفذ مشيئته في ملكه ويجري حكمه على ما يشاء لا مردَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، والمُلك -بالضم- السلطان والقدرة أو المملكة قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

قال الآلوسي: مالك المُلك -بضم ميم الملك- هو الملك الحقيقي المتصرف بما شاء كيف شاء إيجادًا وإعدامًا، إحياءً وإماتة، تعذيبًا وإثابةً من غير مشارك ولا ممانع، ومالك الملك في الآية منادى، وقوله: ﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] استئناف لبيان وجوه التصرف الذي يستدعيه مالك الملك [١].

ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ: هو الذي لا شرف ولا جلال ولا كمال في الذات والصفات والأفعال إلا له تعالى، ولا كرامة ولا مكرمة إلا منه، قال تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧].

الْمُقْسِطُ: العادل في حكمه من أَقْسَطَ إذا عدل في الحكم، وهو أن يعدل قسط غيره ونصيبه. قال تعالى: ﴿ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩]، والقسط النصيب.

الْجَامِعُ: يجمع أجزاء الخلق بعد تفرقها عند الحشر والنشر للحساب والجزاء، أو يجمع الخلق في موقف القيامة ويجمع بين الظالم والمظلوم.

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المرسلات: ٣٨] ثم نرد من نشاء إلى دار النعيم ونرد من نشاء إلى دار الجحيم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠]، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الأنعام: ١٢] ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾

١- انظر: تفسير الآلوسي (٣/ ١١٩).

[التغابن: ٩]، أي يوم يغبن المؤمنين بأخذ منازلهم في الجنة لو آمنوا، من الغبن، وهو أخذ الشيء من صاحبه بأقل من قيمته.

الْغَنِيُّ: المستغني عن كل ما سواه، وكلهم محتاجون إليه، أو الذي وجب وجوده وافتقر سائر الكائنات إليه، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [لقمان: ٢٦]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦].

الْمُغْنِي: يُغْنِي من يشاء غناه عما سواه، قال تعالى: ﴿ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢]، ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى: ٨]، ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ [النجم: ٤٨]

الْمَانِع: الذي يمنع من فضله من استحق المنع، ولا معطي لما منع، كما أنه لا مانع لما أعطى قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤].

ولم يَرِد هذا الاسم في القرآن، ولكنه مجمعٌ عليه.

الضَّارُّ النَّافِعُ: يغني هذا ويفقر ذاك، ويصح هذا ويمرض ذاك، ويعزّ هذا ويذلُّ ذاك، ويهدي هذا ويضل ذاك، ويدني هذا ويبعد ذاك، له الحكم وله الأمر سبحانه، أو هو خالق الضر والنفع، وفي هذين الاسمين مزدوجين إشارة إلى كمال القدرة والإرادة والحكمة، فلا ضارّ ولا نافع إلا رب العالمين، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢]، ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧]، ﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ

﴿ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس: ٢٣]، ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾ [غافر: ٨٥]، فالله تعالى هو الضار والنافع، وعلمت أن الأدب اقترانهما في الذكر.

النُّورُ: الظاهر بنفسه المظهر لغيره، أو المظهر لكل ما أراد إخراجه إلى الوجود، وسمى الله نفسه نورًا من حيث إنه هو هذا النور، أو المنزَّه عن كل عيب. يقال: امرأة نوار أي بريئة من الريبة بالفحشاء، أو المنور للأكوان.

قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] ويطلق النور على الحق كما تطلق الظلمة على الباطل.

ويشير إليه قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي من أنواع الباطل إلى الحق، والمراد بالحق الذي فسر به النور في هذه الآية ما يقابل الباطل، وهو يتناول التوحيد والشرائع وما دل عليه دليل عقلي أو سمعي. وقيل: الهدى، وقيل: العلوم والمعارف التي يفيضها على قلب المؤمن، وقيل غير ذلك في معنى النور في هذه الآية وقد قال تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: ٦٩]، أي بعدله ونصبه موازين قسطه وحكمه بالحق بين عباده. وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ أي بصيرة وهدى لا كمن أبى الإسلام فضيع على قلبه حصول النور فقسا قلبه وضل ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢].

الْهَادِي: الذي يهدي القلوب إلى الحق وإلى ما فيه صلاحها دينا ودنيا قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤]، ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠]، أي: طريقي الخير

والشر، ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٧]، أي إلى دين الإسلام ﴿ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ [الأنعام: ٨٧].

الْبَدِيعُ: المبدع للأشياء بلا احتذاء ولا اقتداء، أو الذي لا مثيل له ولا نظير في ذاته وصفاته وأفعاله، أو الذي أظهر عجائب صنعته وأظهر غرائب حكمته.

قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧]، ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١]

الْبَاقِي: الدائم الوجود بعد كل شيء بلا انتهاء، الذي لا يقبل الفناء هو الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء قال تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ٧٣].

الْوَارِثُ: الباقي بعد فناء الخلق، فترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر: ٢٣]، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مريم: ٤٠]، ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨]، ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحديد: ١٠].

الرَّشِيدُ: الذي أرشد الخلق وهداهم إلى مصالحهم، أو الذي لا يوجد سهو في تدبيره ولا لهو في تقديره، أو الراشد وهو الذي له الرشد، وحاصله أنه حكيم في أفعاله، أو الذي أسعد من شاء بإسعاده وأشقى من شاء بإبعاده، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥١]، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠]، فهو تعالى مُؤْتِي الرشد للراشدين من عباده وخالقه فيهم.

الصَّبُور: هذا الاسم والذي قبله غير واردين في القرآن، ولكنهما مجمعٌ عليهما، من الصبر وهو حبس النفس وتوطينها على المكاره، ويقرب معناه من معنى الحكيم، وهو الذي يؤخر العقوبة إلى الأجل المعلوم لحكمة، والصبور القادر على الصبر ولا أَقْدَر منه تعالى عليه، وقد مدح الله الصبر والصابرين في كثير من الآيات:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ أي بمعونته وتوفيقه [النحل: ١٢٦- ١٢٧]، ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

أسماء وصفات لله عز وجل غير الأسماء الحسنى المجموعة بالحديث :

لله تعالى صفات سنية، وأسماء علية، غير هذه الأسماء الحسنى، وقد دل عليها الكتاب أو السنة أو الإجماع، ومنها :

١ - وصف (الرَّبّ) أي المالك المتصرف في مخلوقاته بإرادته وقدرته المدبِّر لها بحكمته.

قال تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢] أي المالك المتصرف في جميع مخلوقاته، الدال ذلك على وجوده وقدرته وعلمه وإرادته وصنعته وحكمته ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١]، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١]، ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٦]، ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧]، أي قل لهم: من له السموات السبع والعرش العظيم، فسيجيبون بقولهم: لله ربها. ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ [الصافات: ٥]، أي والمغارب، ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾، [النبا: ٣٧]، ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢] فهو تعالى رب كل شيء ومليكه بنص الكتاب المجيد.

ولا يقال لغيره تعالى «رَبّ» بالإطلاق، بل بالإضافة نحو رب الدار، ورب المال.

٢- وصف (الإِلَه) الدال على أنه تعالى المفزَع للكائنات كلها في إيجادها ووجودها وتكوينها وجميع شئونها، مِنْ أَلِهَ الرجل إلى الرجل يَأْلَهُ إليه، إذا فزع إليه من أمر نزل به فَآلَهَهُ، أي أَجَارَهُ وأمَّنه فيسمى إلهًا، كما يسمى الرجل إمامًا إذا أمَّ الناس فأتمُّوا به، وكما يسمى الثوب رداءً إذا ارتدى به.

والله تعالى إله العالمين لا إله غيره، فلا يطلق إله على غيره قال تعالى: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٦٢]، ﴿ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴾ [الصافات: ٤-٥]، ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥١]، ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصافات: ٨٦]، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢]، فلا يطلق إله إلا على الله تعالى.

٣- وصف (الْقَدِيم) هو الموجود الذي لا أول لوجوده وليس ذلك إلا الله تعالى وهو بمعنى (الأَوَّل) في أسمائه الحسنى.

٤- وصف (الأَزَلِيّ) هو بمعنى القديم فيقال له تعالى: قديم أزلي، ويقال في حقه تعالى أيضًا: (أَبَدِيّ) أي لا آخر لوجوده وهو بمعنى (الآخِر) في أسمائه الحسنى.

٥- وصف (وَاجِبُ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ) أي هو تعالى الذي لا يقبل وجوده العدم بوجه من الوجوه، ويشعر به في الأسماء الحسنى (الْقَوِيّ الْمَتِين) و(الْقَيُّوم) لأن الذي لا يقبل الأثر من غيره يقال له قَوِيٌّ وقَيُّومٌ مبالغة في كونه مستقلا بذاته، وذلك هو كونه واجب الوجود لذاته، وليس ذلك إلا الله تعالى وحده.

٦- وصف (الدَّائِم) أي دائم الوجود أزلاً وأبدًا ولا دوام إلا لله تعالى.

٧- وصف (الْمُحِيط) أي: المحيط علمًا بكل شيء، والمحصي عددًا لكل شيء، وليس ذلك إلا الله تعالى وحده قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨].

وفيه إشارة إلى أنه تعالى قادر على كل شيء من الممكنات لا يغلبه غالب ولا يعجزه هارب ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩].

٨- وصف (الْقَرِيب) أي من خلقه بعلمه المحيط بهم بقدرته التامة عليهم وبإجابته لدعائهم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١]، ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ: ٥٠].

٩- وصف (الْمُدَبِّر) أي العالم بأدبار الأمور وعواقبها، أو الذي يصرِّف الأمور بحكمته وتدبيره على وفق مشيئته قال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [السجدة: ٥-٦]، ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢]، فالله -سبحانه تعالى- هو المدبر للعالم كله لا شريك له في تدبيره.

١٠- وصف (الْمُرِيد) للأشياء إيجادًا وإعدامًا وأحوالاً وشؤونًا، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [الحج: ١٤]، ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [المائدة: ٤١].

فهو الله تعالى المريد للأشياء جميعها، لا يشاركه في إرادته ولا ينازعه فيها أحد من خلقه.

١١- صفة (**الْمَشِيئَة**) مِنْ شَاءَ بمعنى أراد فهو تعالى يريد الأشياء ويشاؤها لا معقب له ولا ممانع. قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

١٢- وصف (**الْمُخْتَار**) أي الذي إليه الاختيار في أفعاله وهو الأعلم بما فيها من الحكمة، فيرجح ما يشاء على ما لا يشاء لعلمه بما فيه من الخيرة والمصلحة الراجحة، وليس لأحد من خلقه أن يختار عليه في شيء قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٢].

١٣- وصف (**الْمُحِبّ**) أي مريد إيصال الخير من ثواب أو رضا أو ثناء أو عفو أو مغفرة لمن أحبهم ورضي عنهم وارتضى فعلهم من عباده، وأصل المحبة ميل النفس إلى الشيء ولاستحالة ذلك في حقه تعالى يراد بها مثوبته أو رضاه أو ثناؤه أو إنعامه أو إحسانه أو مغفرته ففي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، [آل عمران: ٣١] ومعنى محبته تعالى لهم مثوبته ورضاه، أو إرادته تعالى إيصال الخير أو المنافع لمن رضي عنهم من عباده المحبين له.

وقد جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة في محبة الله تعالى لأناس من عباده بهذا المعنى قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩]، أي العادلين.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، المعتمدين عليه المفوضين أمورهم إليه.

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨]، أي من الكفر والمعاصي والنجاسات.

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، أي على البلاء والشدائد.

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، أي في كل أمورهم.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦]، أي الذين اتقوا غضبه وعقابه بفعل المأمورات واجتناب المنهيات.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، أي الذين داموا على التوبة إلى الله من ذنوبهم وسيئاتهم وطهروا أنفسهم من معاصيهم.

كما جاءت في القرآن الكريم آيات في كراهيته من ارتكب من عباده ما لا يرضاه وذمهم في الدنيا ومعاقبتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠]، أي الذين يظلمون الناس ويظلمون أنفسهم بالمعاصي والسيئات.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦]، أي بكثرة المال بطرًا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

فهؤلاء جميعًا لا يحبهم الله تعالى ويعاقبهم في الآخرة، ويحرمهم رضاه ومثوباته لسوء أعمالهم واجترائهم على معاصيه فيما يعملون ويتركون.

١٤- صفة (الرِّضَا) وهو إعطاء الخير والثواب والفضل، أو ذكر المدح والثناء لمن يشاء الله من عباده المؤمنين قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨]، ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، أي اخترته لكم دينًا تسعدون به دنيا وأخرى ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧]، أي: وإن تشكروا الله فتؤمنوا يرضى الشكر لأجلكم ومنفعتكم لأنه سبب فوزكم بسعادة الدارين.

وضد الرضا والمحبة (الكراهة) وهي إيصال الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة إلى من عصاه وسلك غير سبيله قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩٦]، ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: ٧]، ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ [التوبة: ٤٦- ٤٧].

١٥- صفة (السُّخْط) وهو الغضب الشديد وينشأ عنه إرادة العقوبة من الله تعالى لمن عصاه وضل عن سبيله قال تعالى: ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠]، أي سخط على الذين كفروا من بني إسرائيل، ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران:

١٦٢]، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٨].

١٦- صفة (الْغَضَب) وهو إرادة إيصال العقوبة لمن يستحقها، قال تعالى: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح: ٦]، ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ [البقرة: ٩٠]، ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٦]، ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧]، والمغضوب عليهم هم اليهود، غَضِبَ الله عليهم ولعنهم.

١٧، ١٨- صفة (الْمُوَالاَة وَالْمُعَادَاة) أي إرادة الكرامة وإرادة الإهانة لمن أراد من عباده، والله تعالى هو وَلِيُّ المؤمنين وناصرهم وكافيهم، وعليه المتكل وإليه الملتجأ، ويحسن إلى الصالحين ويريد برهم وكرامتهم، وعدو الكافرين والفاسدين والفاسقين ومهينهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨]، ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ٢٧- ٢٨]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة: ١].

وبالجملة لا يجوز وصفه تعالى بما نهى عن وصفه، ولا بما يوهم نقصًا في حقه وينافي عظمته وجلاله؛ وإنما يوصف بما ورد وصفه به كتابًا أو سنة أو أجمع عليه المسلمون مما هو كمال في حقه ولائق بجلاله، وليس في الأمر خفاء.

الصفات الإلهية بين الإثبات والتنزيه :

فما ورد في القرآن أو السنة مما يشعر ظاهره بإثبات الجهة أو الجمسية أو الصورة أو الجوارح اتفق أهل الحق على تأويله لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه.

فالمراد من قوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠]

المراد منه التعالي في العظمة، فالملائكة يخافون ربهم من أجل تعاليه في العظمة.

والمراد من قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]

المراد به الاستيلاء والملك.

والتأويل هنا ليس بمستغرب، فأنت كمخلوق إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية، فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه تعالى بأين أو كيف، وهو مقدس عن ذلك، وصدق من قال في هذا:

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عني ما أقولُ... اتْرُكِ البَحْثَ فذا شرحٌ يطولْ
ثمَّ سِرٌّ غامضٌ من دونه... ضُرِبَتْ بالسيفِ أعناقُ الفحولْ
أنتَ لا تعرفُ إياكَ ولا... تدري مَنْ أنتَ ولا كيفَ الوصولْ
لا ولا تدري صفاتٍ رُكِّبَتْ... فيكَ حارَتْ في خفاياها العقولْ
أينَ منكَ الروحُ في جوهرِها... هل تراها أو ترى كيفَ تجولْ؟
وكذا الأنفاس هل تحصرها لا... ولا تدري متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا... غلب النوم فقل لى يا جهول
أنتَ أكلَ الخبزِ لا تعرفُه... كيفَ يجري فيكَ أم كيفَ يَحولْ
فإذا كانتْ طوايـاكَ التي... بين جنبيْكَ بها أنت جهولْ
كيفَ تدري من على العرشِ استوى... لا تقلْ كيفَ استوى كيفَ الوصولْ
كيف يحكي الرب أم كيف يُرَى... فلعمري ليس ذا إلا فضول
فهو لا كيفٌ ولا أينٌ لهُ... هوَ ربُّ الكيفِ والكيفُ يجولْ

وهو فوق الفوقِ لا فوقٌ له... وهوَ في كلِّ النواحي لا يزولْ
جلَّ ذاتاً وصفاتٍ وعُلا... وتعالى ربنا عما تقولْ

فالله عز وجل منزه عن الكيفية والكمية والأينية؛ لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أول له لا يقال له مم كان، ومن لا مكان له لا يقال فيه أين كان.

وأما المراد من قوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]

أي وجاء عذاب ربك، أو وجاء أمر ربك الشامل للعذاب.

وتأويل قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]

فالمراد بوجهه أي ذاته.

وتأويل قوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠]

أن قدرته وقوته فوقهم ومحيطة بهم وأعظم من قدرتهم وقوتهم.

وأما عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧]

قالت المشبهة: لو لم يكن الله في العرش لكان حمل العرش عبثا عديم الفائدة، ولا سيما وقد تأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴾ [الحاقة: ١٨]، والعرض إنما يكون لو كان الإله حاصلاً في العرش.

أجاب أهل التوحيد عنه بأنه لا يمكن أن يكون المراد منه أن الله جالس في العرش، وذلك لأن كل من كان حاملاً للعرش كان حاملاً لكل ما كان في العرش، فلو كان الإله في العرش للزم الملائكة أن يكونوا حاملين لله تعالى، وذلك محال. لأنه يقتضي احتياج الله إليهم، وأن يكونوا أعظم قدرة من الله تعالى، وكل ذلك كفر صريح. فعلمنا أنه لا بد فيه من التأويل.

فإذا كانوا حاملين للعرش والعرش مكان معبودهم فيلزم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم ومعبودهم، وذلك غير معقول؛ لأن الخالق هو الذي يحفظ المخلوق أما المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا يحمله.[١]

وأما الحديث الذي رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».[٢]

فتأويله يُنْزِلُ رَبُّنَا مَلَكًا فيقول ويبلغ عن الله. وليس مجيئه أو نزوله حركةً ولا زوالا من مكان وحلولا في مكان آخر؛ لأنه تعالى ليس جسما.

وحكي عن مالك أنه أوله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال: فعل الملك كذا. أي أتباعه بأمره، لكن قال ابن عبد البر قال قوم: ينزل أمره ورحمته. وليس بشيء؛ لأن أمره بما يشاء من رحمته ونعمته ينزل بالليل والنهار بلا توقيت ثلث الليل ولا غيره، ولو صح ذلك عن مالك لكان معناه أن الأغلب في الاستجابة ذلك الوقت.

وقال البيضاوي: لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد دنو رحمته، أي ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة.[٣]

ويعلق البيهقي على حديث روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذِهِ الَّتِي فَوْقَكُمْ؟[٤]

١- تفسير الرازي (٢٢/٦).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٨٤، حديث ١٠٩٤)، ومسلم في صحيحه (١/ ٥٢١، حديث ٧٥٨).

٣- انظر: فتح الباري (٣/ ٣١).

٤- أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٤٠٣، حديث ٣٢٩٨)، وقال: حديث غريب من هذا الوجه.

وَالَّذِي رُوِيَ فِي آخِرِ هَذَا الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى نَفْيِ الْمَكَانِ عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الْعَبْدَ أَيْنَمَا كَانَ فَهُوَ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مِنَ اللهِ تَعَالَى سَوَاءٌ، وَأَنَّهُ الظَّاهِرُ، فَيَصِحُّ إِدْرَاكُهُ بِالأَدِلَّةِ الْبَاطِنُ، فَلا يَصِحُّ إِدْرَاكُهُ بِالْكَوْنِ فِي مَكَانٍ.[1]

فالله عز وجل يجل وينزه أن يحل في الحوادث، أو تَحِلُّ فيه الحوادث في ذاته أو في صفاته؛ لأن ما كان محلا للحوادث لم يخل منها، وإذا لم يخل منها كان محدثا مثلها، ولهذا فإنه تعالى منزه عن أن يحل في الحوادث أو تحل هي فيه.

وتأويل الحديث الذي رواه أَبو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ».[2]

فإنه يوهم أن لله تعالى صورة، فالمراد بالصورة الصفة من سمع وبصر وعلم وحياة.

وتأويل الحديث الذي رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ».[3]

أي بين صفتين من صفاته هما القدرة والإرادة.

قال الإمام النسفي:

"وَيَكْفُرُ مَنْ وَصَفَ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا لاَ يَلِيقُ بِهِ، أَوْ سَخِرَ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ، أَوْ بِأَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِهِ، وَأَنْكَرَ وَعْدَهُ أَوْ وَعِيدَهُ، أَوْ جَعَلَ لَهُ شَرِيكًا أَوْ وَلَدًا أَوْ زَوْجَةً، أَوْ نَسَبَهُ إِلَى الْجَهْلِ أَوْ الْعَجْزِ أَوْ النَّقْصِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ: فُلاَنٌ فِي عَيْنِي كَالْيَهُودِيِّ فِي عَيْنِ اللَّهِ. فَكَفَّرَهُ الْجُمْهُورُ، وَقِيلَ:

١- الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٤٤).

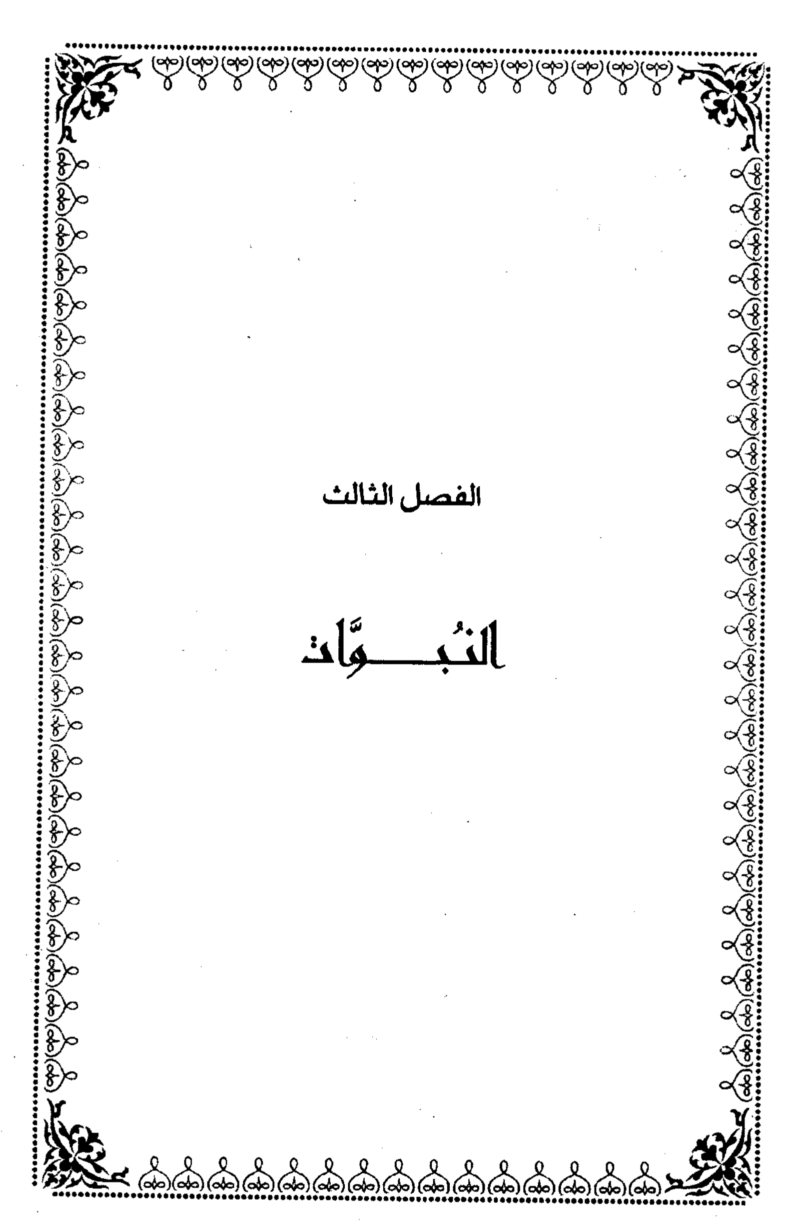
٢- أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٢٩٩، حديث ٥٨٧٣)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨٣، حديث ٢٨٤١).

٣- أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٥، حديث ٢٦٥٤).

لاَ، إنْ عَنَى بِهِ اسْتِقْبَاحَ فِعْلِهِ، وَقِيلَ: يَكْفُرُ إنْ عَنَى الْجَارِحَةَ لاَ الْقُدْرَةَ، وَالأَصَحُّ مَذْهَبُ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْمُتَشَابِهِ كَالْيَدِ، وَاخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ أَنْ يُقَالَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ، وَيَكْفُرُ بِقَوْلِ يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ فِعْلًا لاَ حِكْمَةَ فِيهِ، وَبِإِثْبَاتِ الْمَكَانِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ قَالَ: اللَّهُ فِي السَّمَاءِ؛ فَإِنْ قَصَدَ حِكَايَةَ مَا جَاءَ فِي ظَاهِرِ الأَخْبَارِ لاَ يَكْفُرُ، وَإِنْ أَرَادَ الْمَكَانَ كَفَرَ.[1]

**

١ - البحر الرائق في شرح كنز الدقائق (٥/ ١٢٩).



الفصل الثالث

النُبـــوَّات

النبي لغة: تخفيف من النبيء بالهمز، مأخوذ من النبأ وهو الخبر؛ لأنه مخبرٌ عن الله تعالى، وهو أيضًا مخبَرٌ؛ لأن جبريل يُخبِرُهُ عن الله تعالى، وصيغة فَعِيل صالحة لاسم الفاعل واسم المفعول.

والنبي اصطلاحًا: هو إنسان سليم عن منفر طبعًا أوحي إليه بشرع يعمل به وإن لم يؤمر بتبليغه، فإن أمر بتبليغه فهو رسول، فبينهما عموم وخصوص، فكل رسول نبي ولا عكس.

فالرسالة أشرف من النبوة لجمعها بين الحق والخلق، وخالف في ذلك العز بن عبد السلام فقال: إن النبوة أفضل؛ لأن فيها الانصراف من حضرة الخلق إلى الحق، ولكن الرسالة فيها انصراف من حضرة الحق إلى الخلق.

فالرسول هو من قال له الله تعالى: أرسلتك. أو: بلغهم عني.

والله أعلم حيث يجعل رسالته، فهو يختص برحمته من يشاء من عباده، ولا تعطى النبوة بطلب أو استعداد ومجاهدة، وإنما هي اصطفاء واجتباء.

فالنبوة لا يكتسبها العبد بمباشرة أسباب مخصوصة كملازمة الخلوة والعبادة وتناول الحلال، ولكنها خصيصة من الله تعالى، باختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي، سواء أمر بتبليغه أم لا، فإن أمر بتبليغه فهو نبي رسول.

وإرسال الرسل إنما هو بإحسان الله ولطفه الخالص، وهو أمر جائز عقلا، ولا يجب عليه سبحانه وتعالى.

وذكر الله تعالى في القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين نبيا مرسلا، فهؤلاء يجب الاعتقاد بنبوتهم تفصيلا، ولا يجوز لمسلم أن يجهله أو يجهل كونه نبيًّا، وهم: **آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وأيوب، وذو الكفل، وموسى، وهارون، وسليمان، وداود، وإلياس، واليسع، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومحمد** عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وهنالك أنبياء آخرون لم يذكرهم القرآن تفصيلا، ولم يقص علينا شيئًا من أخبارهم، ولكن أخبرنا عنهم في الجملة، فيجب الإيمان بهم أيضًا في الجملة، أي نوقن بأن الله عز وجل أرسل رسلاً وأنبياء كثيرين إلى كل أمة وجماعة، وفي مختلف الأمكنة والعصور.

ومن الجهل أن نتصور أن الله عز وجل خص منطقة الجزيرة العربية وما حولها بالرسل والأنبياء دون سائر الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤-١٦٥]

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩]



الصفات الضرورية للأنبياء:

أ - النبوة والرسالة لا تكون إلا في بني آدم، فلا تكون في الجن أو الملائكة.

ولا يَرُدُّ ذلك قولُهُ تعالى ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنعام: ١٣٠]

لأن معناه ألم يأتكم رسل من بعضكم أي الإنس.

ورسل الله من بني آدم مرسلون إلى الثقلين الإنس والجن.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا

أنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٠]

قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١-٢]

ولا يرده أيضًا قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥]

لأن معناه أن الله يصطفى من الملائكة سفراء بينه وبين أنبيائه ليبلغوهم عن الله الشرائع. ولا يعنى أن الله يصطفى من الملائكة رسلاً يبلغون عموم الناس رسالة الله.

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨]

قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٥]

ب ـ ويجب في حقهم الاتصاف بالأمانة والعصمة من الوقوع في الذنوب :

وهي حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه، ولو نهي كراهة وهو خلاف الأوْلَى. فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من منهيات الظاهر، ومحفوظون باطنًا من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك، فأفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب. وأما المحرم فلم يقع منهم إجمالاً، وما أوهم المعصية فمؤول بأنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. ولا يجوز النطق به في غير مورده إلا في مقام البيان.

ودليل وجوب الأمانة لهم أنهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى لكنا مأمورين به؛ لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل، ولا يأمرنا تعالى بمحرم ولا مكروه ولا خلاف الأولى.

وأجمع أهل الملل والشرائع على عصمتهم عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله، وأما الصغائر عمدا فجوزه الجمهور إلا الجبائي، وأما الصغائر سهوا فهو جائز اتفاقًا إلا الصغائر الخسيسة كسرقة حبة أو لقمة.

وأما قبل الوحي فقال الجمهور: لا يمتنع أن يصدر عنهم كبيرة إذ لا دلالة للمعجزة عليه، ولا حكم للعقل يمنعه.

فنزول الوحي يمنع الكبائر والإصرار على الصغائر.

ولو أذنبوا لَحَرُمَ اتباعهم، واتباعُهُم واجب للإجماع ولقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]

ولو أذنبوا لوجب رد شهادتهم، إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع، ولقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]

واللازم باطل بالإجماع. ولأن من لا تقبل شهادته في القليل من متاع الدنيا كيف تسمع شهادته في الدين القيم إلى يوم القيامة.

ولو أذنبوا لوجب زجرهم لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيذاؤهم حرام إجماعا، ولقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧]

ولدخلوا تحت قوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣]

وتحت قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤]

ولو لم يتصفوا بالأمانة والصدق والعصمة لم يكونوا أهلا للاصطفاء والاجتباء ولم ينالوا عهده تعالى لقوله: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] ولا عهد أعظم من النبوة.

فنعتقد أنه يجب في حق الأنبياء الصدق وهو مطابقة خبرهم للواقع ولو بحسب اعتقادهم، فإنهم لو جاز الكذب عليهم للزم الكذب في خبره تعالى، لتصديقه تعالى لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى: صدق عبدي في كل ما يبلغ به عني.

وتصديق الكاذب كذب، وهو محال في حقه تعالى.

ج – ونعتقد أن الأنبياء يجب اتصافهم بكمال العقل والضبط والعدالة :

حتى يتمكنوا من إلزام الخصوم بالحجة والبرهان وإبطال دعاويهم الباطلة.

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣]

وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢]

ومن لم يكن فطنا يكن مغفلا لا تمكنه إقامة حجة ولا مجادلة خصم.

د – وجوب تبليغهم لكل ما أُمِرُوا بتبليغه للخلق.

فإنهم لو كتموا شيئا مما أُمِرُوا بتبليغه للخلق لكنا مأمورين بكتمان العلم؛ لأننا مأمورون بالاقتداء بهم، وهو باطل لأن كاتم العلم ملعونٌ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩]

هـ - واختلف في وجوب كون الرسول ذكرًا.

فاحتج من قال: لا نبوة في النساء. بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧]

وأما عن إخبار الله عن أم موسى بأنه قد أوحى إليها حيث قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]

فإنه وحي كوني كالوحي إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتًا، وليس وحيًا شرعيًا.

وأجاز بعض العلماء أن تكون نبية كمريم، وأجابوا عن الآية السابقة بأنها تتحدث عن الرسالة لا النبوة.

واستدل بقوله: ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة: ٧٥]

والله تعالى قد أطلق صفة الصديقية على بعض الأنبياء فقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٤١]

وقال عن إدريس: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦]

ورُدَّ على ذلك بأن وصفه تعالى لإبراهيم وإدريس بالصديقية أُتبِعَ بالنبوة، فهو مخالف لا مطابق.

واستدلوا أيضا بأن الله عز وجل في سورة مريم ذكر جملة من الأنبياء وذكر فيهم مريم قال: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ ﴾ ثم اتبع ذكرهم بقوله تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾ [مريم: ٥٨]. فصح أنها نبية.

وهذا الاستدلال فيه مقالٌ، فإنه تعالى لم يصرح بكون مريم نبية، ولكن أتى ذكرها مقترنا بذكر عيسى عليه السلام.

ما يجوز على الأنبياء والرسل :

ويجوز في حق الرسل الاستمتاع بالحلال كالأكل والشرب وجماع النساء في الحل - أي لا يجامعهن صائمات صوما مشروعا ولا معتكفات ولا حائضات ولا نفساء ولا مُحْرِمَات - كما يجوز عليهم النوم والسهو في الأفعال الشرعية وغيرها، كالسهو في الصلاة للتشريع، دون السهو في الأخبار البلاغية كقولهم: الجنة أعدت للمتقين.

وكذلك النسيان فهو ممتنع في البلاغيات قبل تبليغها قولية كانت أو فعلية، وأما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر عن الله تعالى.

رسول الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام :

وُلد سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طلوع الفجر يوم الاثنين ١٢ ربيع أول عام ٥٣ قبل الهجرة، الموافق ٢٢ إبريل عام ٥٧٢ من الميلاد، على التحقيق.

فرَّق الله به بين الحق والباطل، ووفَّى الله بوعده وعهده على نفسه، فأرسل خاتم رسله، فأظهر به كلامه، ويسر القرآن بلسانه، وبه ختم النبوة والرسالة وأتى بالعهد الأخير بين الله وبين البشر، وأرسله الله للناس كافة، وأرسله رحمة للعالمين، وجعله أكثر الناس تبعا إلى يوم الدين، أعلى الله له ذكره في العالمين، فكل يوم يُذْكر على المنائر بين المشرق والمغرب خمس مرات، وجعل شانئه هو الأبتر.

وأبقى الله سبحانه وتعالى عترته الكريمة بيننا وفينا إلى يوم الدين، وحفظ الله سبحانه وتعالى له كتابه عن التحريف سواء في الشكل أو المضمون.

أَجَلَّهُ الله عز وجل فخاطبه بما لم يخاطب به الأنبياء السابقين، ناداهم بأسمائهم فقال:

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦]

وقال: ﴿ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ﴾ [هود: ٧٦]

فلم يناد محمدا صلى الله عليه وسلم باسمه مفردًا، فقد رفع شأنه في العالمين فخاطبه بوظيفته عنده، بالرسالة والنبوة، فَبِهِ صلى الله عليه وسلم كَمُلَت وفيه تمت، وإليه انتهت، فكان ظهوره عَلَمًا على جَميعِها، وآيةً على صدقها ومهيمنا عليها، فهو النبي، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ﴾ [المائدة: ٤١]

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤]

وجمع تعالى له صفتين من صفاته عز وجل ولم يجعلهما لنبي قبله.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]

وجعله الله عز وجل يترقى في مراقي العبودية والفضل والشرف إلى يوم الدين إلى ما لا نهاية له في الشرف والمجد.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ١-٤]

والنبي لا وز له، أي لا إثم له، وإنما الوزر في الآية بمعنى السَّقْف الذي كان يمنعه من الترقي في الكمالات.

ومما رفع الله به ذكره أنْ جعل اسمه يتردد على المنابر إلى يوم الدين، وعلى المنائر في الأذان خمس مراتٍ في اليوم والليلة في كل أركان الأرض، وأصبح اسمه طبقًا للإحصاء العددي الأكثر تسميةً في الأرض، فتسمى به حتى عام ١٩٩٠ سبعون مليون مولود من

البشر[1]، وإذا ضُمَّ إلى ذلك (أحمد) و(محمود) و(حامد) و(مصطفى) وإذا ضُم إلى ذلك ما ارتثاه المسلمون اسمًا للنبي صلى الله عليه وسلم فسموا أبناءهم به تبركًا به كـ(طه) و(ياسين) فإن اسم النبي صلى الله عليه وسلم يفوق كل ما يتصوره البشر إلى يوم القيامة، وليس لاسمٍ من أسماء أحدٍ من البشر هذه الخاصية سواه.

ومما رفع الله به ذكره أن جعل الناس يتبعونه، فكانوا أكثر أهل الديانات عددا حتى بلغ المسلمون ربع سكان الأرض، ومما رفع الله به ذكره أن أبرز قبره، ولم يبرز قبر نبيٍ قط سوى قبر النبي المصطفى والحبيب المجتبى صلى الله عليه وسلم، فكل قبور الأنبياء في الأرض محل شكٍ ونزاعٍ وتكرارٍ، بينما كل مؤمنٍ وكل كافر يعرف أن هذا الموضع الطيب الطاهر في المدينة المنورة تحت القبة الخضراء إنما هو للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، لا يختلف في ذلك مؤمن ولا كافر.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٦٤].

فأبرز الله قبره، وحفظ له ذكره؛ حتى ننفذ ما أمرنا الله به، ونجد لأنفسنا مخرجًا من ذنوبنا، ويقول صلى الله عليه وسلم: **"حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ"**.[2]

١- أفادت صحيفة "دايلي تليغراف" الصادرة الخميس ٢١ من ديسمبر ٢٠٠٦، أن اسم محمد حلَّ في المرتبة الثانية والعشرين على لائحة أكثر الأسماء الدارجة للأطفال الذكور في بريطانيا متقدمًا على اسم جورج الذي كان يتصدر لائحة السنة الماضية، كما دخل لائحة الأسماء الخمسين الأكثر رواجًا للمرة الأولى إلى جانب أسماء نوح وأوسكار ولوكاس وريس. وأضافت أن أرقام مكتب الإحصاء الوطني كشفت أن ٤٢٥٥ مولودًا ذكرًا حلوا اسم محمد هذا العام بالمقارنة مع ٣٣٨٦ مولودًا حلوا اسم جورج.

٢- أخرجه البزار في مسنده (٥/ ٣٠٨، حديث ١٩٢٥)، عن عبد الله بن مسعود، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

وقد أرسل الله عز وجل محمدًا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد إلى الثقلين الإنس والجن دون الملائكة، فإنه لم يرسل إليهم إرسال تكليف بل أرسل إليهم إرسال تشريف؛ لأن طاعتهم جبلية لا يكلفون بها.

وبعث رسول الله على رأس الأربعين سنة إلى جميع المكلفين في شهر رمضان، بأن جاءه جبريل يقظة في غار حراء، ونزل عليه من القرآن قوله ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الْوَحْىِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِىَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: « **مَا أَنَا بِقَارِئٍ** ». قَالَ: «**فَأَخَذَنِى فَغَطَّنِى حَتَّى بَلَغَ مِنِّى الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِى فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِى فَغَطَّنِى الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّى الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِى فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِى فَغَطَّنِى الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِى فَقَالَ:** ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ ». [1]

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١]

فالله تعالى يكلم عباده المؤمنين من الأنبياء والمرسلين بطرق ثلاثة :

الطريق الأول: أن يوحي إليهم ﴿ وَحۡيًا ﴾ فكيف كان يوحي ربنا لسيدنا محمد المصطفى؟

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ -رضى الله عنها- أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ -رضى الله عنه- سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْىُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِى مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ -وَهُوَ أَشَدُّهُ**

١- أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤، حديث ٣)، ومسلم في صحيحه (١/ ١٤٠، حديث ١٦٠).

عَلَيَّ- فَيُفْصَمُ عَنِّى وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِىَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِى فَأَعِى مَا يَقُولُ ». قَالَتْ عَائِشَةُ رضى الله عنها: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْىُ فِى الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.[1]

صلصلة الجرس: صوت حاد يهز وجدانه، ويجعله في حالة كان الصحابة يرونها على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفصد عرقًا ولو كان في اليوم البارد.

"يتمثَّلُ لي المَلَكُ أحيانا رجُلاً فَيكلمني، فأعي ما يقول" كان يأتيه سيدنا جبريل عليه السلام في صورة رجل تشبه صورة الصحابي دحية الكلبي، وكان دحية شديد الجمال في وجهه نظيفًا في ثوبه، وقد اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون من سفرائه، فكان سفيره برسالته إلى قيصر الروم.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ يُحَرِّكُهُمَا.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ قَالَ: جَمْعُهُ لَهُ فِى صَدْرِكَ، وَتَقْرَأَهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٦-١٩] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم كَمَا قَرَأَهُ.[2]

ولقد أُعْطِي سيدنا محمد ﷺ ما لم يعطَ نبيٌّ قبله، نؤمن بهذه العطايا يقينًا.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **« أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِى أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِىَ الْغَنَائِمُ،**

١- أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤، حديث ٢) واللفظ له، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٦، حديث ٢٣٣٣).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٦، حديث ٥)، ومسلم في صحيحه (١/ ٣٢٠، حديث ٤٤٨).

وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ».[١]

ونؤمن كذلك أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]

وعن أبي هريرة عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي ».[٢]

والنبي محمد ﷺ هو أفضل المخلوقات على العموم الشامل للعلوية والسفلية من البشر والجن والملك في الدنيا والآخرة، في سائر خصال الخير وأوصاف الكمال.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قَدْ سَمِعْتُ كَلاَمَكُمْ وَعَجَبَكُمْ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلاَ وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِيَ فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلاَ فَخْرَ".[٣]

أي لا فخر أعظم من ذلك، أو ولا أقول ذلك فخرًا بل تحدثًا بالنعمة.

وأما ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من النهي عن تفضيله على إخوانه من الأنبياء كقوله "لاَ تُفَضِّلُونِي عَلَى الأَنْبِيَاءِ". وقوله: "لاَ تُفَضِّلُونِي عَلَى مُوسَى".[٤]

١- أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٨، حديث ٣٢٨)، ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠، حديث ٥٢١).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٧٣، حديث ٣٢٦٨)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧١، حديث ١٨٤٢).

٣- أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٥٨٧، حديث ٣٦١٦)، وقال: حديث غريب.

٤- ذكره الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٣١٦).

وقوله: "لاَ تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بنِ مَتَّى".

فهو محمول على التفضيل الذي يؤدي إلى تنقيص غيره من الأنبياء، أو يكون نهيه عن ذلك تأدبًا منه وتواضعًا.

وخص صلى الله عليه وسلم يونس بن متى بالذكر؛ لأن رسول الله محمدًا ناجى ربه من فوق السموات السبع، بينما ناجاه يونس من قاع البحر ومن بطن الحوت، والله تعالى منزه عن الجهة والمكان ويستوي في حقه مِن فوق السموات ومِن قاع البحر.

فنعتقد أن أصل النبوة التي أكرم الله بها الأنبياء حقيقة واحدة لا تتفاوت ولا تختلف ما بين نبي وآخر، ولا يجوز التفريق بين نبوة نبي وآخر من هذه الناحية، وهو المقصود من قوله جل جلاله: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

أما من حيث المنزلة فلا ريب أن أفضل الخلق على الإطلاق هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو مما أجمع عليه المسلمون قاطبة، وذلك لعموم بعثته إلى الناس كلهم.

وتبعا لذلك فإن أمة سيدنا محمد هي خير أمة أخرجت للناس.

قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ ».[١]

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٣١، حديث ٣٤٤١)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٣، حديث ١٩٢١).

ولا شك أن خيرية هذه الأمة تابعة لخيرية نبيها.

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول رب العالمين إلى الناس كافة العرب والعجم.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]

وجوب حب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [الأحزاب: ٦]

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « **فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ** ».[1]

١- أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٤، حديث ١٤).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « **لاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ** ». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « **الآنَ يَا عُمَرُ** ».(١)

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « **ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ** ».(٢)

فإن للإيمان حلاوة لا يعرفها إلا من ذاقها.

فصل في أخلاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته.

بمولد الهادي المصطفى والحبيب المجتبى رسول رب العالمين إلى العالمين إلى يوم الدين صلى الله عليه وسلم كان ميلاد خير أمة أخرجت للناس.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ** ". وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى.(٣)

فبشَّرَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن طائفة من أمته سيظلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، وبشرنا بأن الإسلام سيعود غريبًا كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء، وَبَشَّرَنَا فَقَالَ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ**».(٤)

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٤٤٥، حديث ٦٢٥٧).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٦، حديث ٢١)، ومسلم في صحيحه (٦/ ٢٥٤٦، حديث ٦٥٤٢).

٣- أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٥٩٢، حديث ٨٦٧).

٤- أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٢٦، حديث ٢٢٦٠)، وقال: حديث غريب عن أنس بن مالك.

وَبَشَّرَنا فَقَالَ: "**لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ** ».[1]

١- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يدعى بمكة الصادق الأمين.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: « يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ ». لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: « **أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟** » قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا.[2]

٢- ولما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في غار حراء فأسرع إلى زوجه خديجة فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ. قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.[3]

٣- وأضاف إلى الصدق والأمانة البركة، فقد خرج صلى الله عليه وسلم في التجارة مع عمه، فكان ذكيًا فطنا، فكان لا يخرج بمحض نقودٍ يشتري بها ثم يعود، بل إنه يأخذ تلك النقود بتقليب تجارةٍ وإدارةٍ حسنة يأخذها إلى الشام، وعندما يأخذها إلى الشام يبيعها فيربح، فكان من المعتاد أن يشتري ويعود لكنه كان يقلب المال هناك في دورةٍ أفقيةٍ أخرى، ويشتري ويبيع وهو في الشام، حتى إذا ما زاد المال وكثر اشترى سلعًا بعينها تكون أكثر نفعًا لذويه، ويكون أهل بلده أكثر انتفاعًا بها، فيعود فيربح بها أضعافًا كثيرة،

١- أخرجه أبو داود في سننه (٤/١٢٣، حديث ٤٣٤٢)، والترمذي في سننه (٥/٢٥٧، حديث ٣٠٥٨)، وقال: حديث حسن غريب، والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/٩١، حديث ١٩٩٨٠) كلهم عن أبي أمية الشعباني.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (٤/١٧٨٧، حديث ٤٤٩٢).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه (١/٤، حديث ٣)، ومسلم في صحيحه (١/١٣٩، حديث ١٦٠) كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

ويزداد المال في يده من حسن ذكائه وفطنته وإدارته -بتوفيق الله له وعلو شأنه عنده- أضعافا كثيرة، لا يراها الناس مع أقرانه والمتدربين على هذا من ذويه وأهله، حتى لفت هذا الأمر انتباه السيدة خديجة عليها السلام، فطلبت أن يعمل لها في تجارتها ثم طلبت الزواج به.

٤- وبحكمة رسول الله وفطنته نجت قبائل قريش من شر حرب مهلكة في الجاهلية، وذلك حينما اختلفوا في وضع الحجر الأسود مكانه.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمّ إنّ الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ جَمَعَتْ الْحِجَارَةَ لِبِنَائِهَا، كُلّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ عَلَى حِدَةٍ ثُمّ بَنَوْهَا، حَتّى بَلَغَ الْبُنْيَانِ مَوْضِعَ الرّكْنِ فَاخْتَصَمُوا فِيهِ كُلّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إلَى مَوْضِعِهِ دُونَ الْأُخْرَى، حَتّى تَحَاوَزُوا وَتَحَالَفُوا، وَأَعَدّوا لِلْقِتَالِ فَقَرّبَتْ بَنُو عَبْدِ الدّارِ جَفْنَةً مَمْلُوءَةً دَمًا، ثُمّ تَعَاقَدُوا هُمْ وَبَنُو عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ عَلَى الْمَوْتِ فَسُمّوا لَعَقَةَ الدّمِ. فَمَكَثَتْ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا، ثُمّ إنّهُمْ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَتَشَاوَرُوا وَتَنَاصَفُوا.

قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَوّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ فَفَعَلُوا. فَكَانَ أَوّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَا، هَذَا مُحَمّدٌ؛ فَلَمّا انْتَهَى إلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَلُمّ إلَيّ ثَوْبًا، فَأُتِيَ بِهِ فَأَخَذَ الرّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ. ثُمّ قَالَ لِتَأْخُذَ كُلّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنْ الثّوْبِ ثُمّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا، فَفَعَلُوا: حَتّى إذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ ثُمّ بَنَى عَلَيْهِ.(١)

٥- ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن ببعض صفته في التوراة والإنجيل.

فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضى الله عنهما سُئِلَ عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى

١- السيرة النبوية (٢/١٨-١٩).

الله عليه وسلم فِى التَّوْرَاةِ. قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِى التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِى الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِى وَرَسُولِى سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِى الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا.[١]

فأما عن رجاحة عقله وفطنته صلى الله عليه وسلم :

يقول القاضي عياض: ومَنْ تَأَمَّلَ تدبيره صلى الله عليه وسلم أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسة الخاصة والعامة، مع عجيب شمائله، وبديع سيره، فضلا عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع، دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب، لم يَمْتَر في رجحان عقله، وثقوب فهمه لأول وهلة.

ومما يتفرع عن العقل ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة، وصدق الظن، والنظر للعواقب، ومصالح النفس، ومجاهدة الشهوة، وحسن السياسة، والتدبير، واقتفاء الفضائل، واجتناب الرذائل، وقد بلغ صلى الله عليه وسلم من ذلك الغاية التي لم يبلغها بشر سواه صلى الله عليه وسلم.

ومن تأمل حسن تدبيره للعرب الذين كالوحش الشارد، والطبع المتنافر المتباعد، كيف ساسهم؟ واحتمل جفاهم، وصبر على أذاهم، إلى أن انقادوا إليه، واجتمعوا عليه، وقاتلوا دونه أهليهم: آباءهم، وأبناءهم. واختاروه على أنفسهم، وهجروا في رضاه أوطانهم، وأحبابهم، من غير ممارسة سبقت له، ولا مطالعة كتب يتعلم منها سنن الماضين، فتحقق أنه صلى الله عليه وسلم أعقل الناس، ولما كان عقله صلى الله عليه وسلم أوسع العقول لا جرم اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شيء.[٢]

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٧٤٧، حديث ٢٠١٨).

٢- سبل الهدى والرشاد (٧/ ٣).

وأما عن حسن خلقه صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]

٦- وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَيْفَ كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي أَهْلِهِ. قَالَتْ: كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَلاَ صَخَّابًا بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ.(١)

رفقه صلى الله عليه وسلم:

١- وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ ».(٢)

٢- وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.(٣)

٣- وعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِنَفْسِهِ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا.(٤)

١- أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٣٦، حديث ٢٦٠٣٢)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٣٥٥، حديث ٦٤٤٣).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٣، حديث ٢٥٩٣).

٣- أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٤، حديث ٢٣٢٨).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٠٦، حديث ٣٣٦٧)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٣، حديث ٢٣٢٨).

٤- وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ. فَرَمَانِى الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَىَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِى لَكِنِّى سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَبِأَبِى هُوَ وَأُمِّى مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِى وَلاَ ضَرَبَنِى وَلاَ شَتَمَنِى قَالَ « **إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَىْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ** »[1]، كَهَرَنِى أي انْتَهَرَنِي.

٥- وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِى الْمَسْجِدِ فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْقَوْمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « **دَعُوهُ وَلاَ تُزْرِمُوهُ** ». قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ.[2]. تزرموه: تقطعوا عليه بوله

٦- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ**". [3]

٧- وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: عَلَّمَنِى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم التَّشَهُّدَ كَفِّى بَيْنَ كَفَّيْهِ كَمَا يُعَلِّمُنِى السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ.[4]

عفوه صلى الله عليه وسلم :

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِىٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِىٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِى مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى

١- أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٨١، حديث ٥٣٧).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٣٦، حديث ٢٨٤).

٣- أخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ١١٤، حديث ٣١٣)، والدارمي في سننه (١/ ١٨٢، حديث ٦٧٤).

٤- أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٠٢، حديث ٤٠٢).

الله عليه وسلم ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.[١]

٢- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَقٌّ فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم: « **إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً، اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ** ». فَقَالُوا: إِنَّا لاَ نَجِدُ إِلاَّ سِنًّا هُوَ خَيْرٌ مِنْ سِنِّهِ. قَالَ: « **فَاشْتَرُوهُ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ؛ فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً** ».[٢]

٣- وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضى الله عنهما أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِى وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِى الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ وَهْوَ لاَ يَشْعُرُ بِهِ. فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم: « **إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِى** ». فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ؟ قُلْتُ: « **اللَّهُ** ». فَشَامَ السَّيْفَ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ، ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ.[٣]

٤- وفي السيرة أَنَّ فَضَالَةَ بْن عُمَيْرِ بْنِ الْمُلَوّحِ اللّيْثِيّ أَرَادَ قَتْلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ، فَلَمّا دَنَا مِنْهُ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "أَفَضَالَةُ؟" قَالَ: نَعَمْ فَضَالَةُ يَا رَسُولَ اللّهِ ﷺ. قَالَ: "مَاذَا كُنْت تُحَدّثُ بِهِ نَفْسَك؟" قَالَ: لاَ شَيْءَ، كُنْت أَذْكُرُ اللّهَ. قَالَ: فَضَحِكَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. ثُمّ قَالَ: "اسْتَغْفِرْ اللّهَ". ثُمّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ: وَاَللّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتّى مَا مِنْ خَلْقِ اللّهِ شَيْءٌ أَحَبّ إلَيّ مِنْهُ. قَالَ فَضَالَةُ: فَرَجَعْت إلَى أَهْلِي فَمَرَرْت بِامْرَأَةٍ كُنْت أَتَحَدّثُ إلَيْهَا فَقَالَتْ: هَلُمّ إلَى الْحَدِيثِ فَقُلْت: لَا، وَانْبَعَثَ فَضَالَةُ يَقُولُ

قَالَتْ هَلُمّ إلَى الْحَدِيثِ فَقُلْت لاَ... يَأْبَى عَلَيْكِ اللّهُ وَالْإِسْلاَمُ
لَوْمَا رَأَيْتِ مُحَمّدًا وَقَبِيلَهُ... بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكَسّرَ الْأَصْنَامُ
لَرَأَيْتِ دِينَ اللّهِ أَضْحَى بَيّنًا... وَالشّرْكُ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلاَمُ[٤]

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٢٦٠، حديث ٥٧٣٨).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٢٠، حديث ٢٤٦٥).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٠٦٦، حديث ٢٧٥٦).

٤- السيرة النبوية لابن هشام (٥/ ٨٠-٨١).

٥ – وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين، ثُمَّ أَتَى الْكَعْبَةَ فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ الْبَابِ فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ؟» قَالُوا: نَقُولُ: ابْنُ أَخٍ وَابْنُ عَمٍّ حَلِيمٍ رَحِيمٍ. وَقَالُوا ذَلِكَ ثَلاَثًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « **أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ:** ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ». قَالَ: فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ فَدَخَلُوا فِى الإِسْلاَمِ. [١]

رحمته صلى الله عليه وسلم :

١ – وعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين. قال: " **إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً** ". [٢]

٢ – وقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قال: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا. فاستقبل القبلة، فرفع يده، فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ – أي بدعائه عليهم لو فعل –. قَالَ « **اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ جَمِيعًا** » ثلاثًا. [٣]

حياؤه صلى الله عليه وسلم :

١ – عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ كَانَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِى خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِى وَجْهِهِ. [٤]

---

١ – أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٩/١١٨، حديث ١٨٠٥٤).

٢ – أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٠٦، حديث ٢٥٩٩).

٣ – أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢٣٤٩، حديث ٦٠٣٤)، ومسلم في صحيحه (٤/١٩٥٧، حديث ٢٥٢٤).

٤ – أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢٢٣٦، حديث ٥٧٥١)، ومسلم في صحيحه (٤/١٨٠٩، حديث ٢٣٢٠).

٢- وعَنْ أَنس بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لاَ يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِى يَنْزِعُ، وَلاَ يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِى يَصْرِفُهُ، وَلَمْ يُرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَىْ جَلِيسٍ لَهُ.[1]

٣- وَعَنْ سَهْلٍ رضى الله عنه أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا- أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ. قَالَ: نَعَمْ. - قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِى، فَجِئْتُ لأَكْسُوَكَهَا. فَأَخَذَهَا النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَحَسَّنَهَا فُلاَنٌ فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا. قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لاَ يَرُدُّ. قَالَ: إِنِّى وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ لأَلْبَسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِى. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ.[2] وفِيهَا حَاشِيَتُهَا أَيْ جَدِيدَةٌ لَمْ يُقْطَعْ شَيْءٌ مِنْ جَانِبَيْهَا.

تواضعه صلى الله عليه وسلم :

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِطَعَامٍ فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « **قُومُوا فَلأُصَلِّىَ لَكُمْ** ». قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَصَفَفْتُ أَنَا وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا فَصَلَّى لَنَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ.[3]

٢- وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ فَقَالَ لَهُ: "**هَوِّنْ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**".[4]

١- أخرجه الترمذي في سننه (٤/٦٥٤، حديث ٢٤٩٠)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/١٩٢، حديث ٢٠٥٧٩).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢١٨٩، حديث ٥٤٧٣).

٣- أخرجه مالك في الموطأ (١/١٥٣، حديث ٣٥٩)، والبخاري في صحيحه (١/١٤٩، حديث ٣٧٣).

٤- أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/١١٠١، حديث ٣٣١٢)، والحاكم في المستدرك (٣/٥٠، حديث ٤٣٦٦) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.

والْقَدِيدَ هو اللَّحْمَ الْمُمَلَّحَ الْمُجَفَّفَ فِي الشَّمْسِ.

٣- وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: « كُلْ - جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ - مُتَّكِئًا؛ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ. قَالَتْ: فَأَصْغَى بِرَأْسِهِ، حَتَّى كَادَ أَنْ تُصِيبَ جَبْهَتُهُ الأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: "**لاَ، بَلْ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ**" ».[1]

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: إِنَّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا انْتَهَى إلَى ذِي طُوًى وَقَفَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مُعْتَجِرًا بِشُقّةِ بُرْدٍ حِبَرَةٍ حَمْرَاءَ، وَإِنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيَضَعُ رَأْسَهُ تَوَاضُعًا لِلّهِ حِينَ رَأَى مَا أَكْرَمَهُ اللّهُ بِهِ مِنْ الْفَتْحِ حَتّى إنّ عُثْنُونَهُ لَيَكَادُ يَمَسّ وَاسِطَةَ الرّحْلِ.[2]

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما انتصر على القوم الذين طردوه وحاربوه وأهانوه وعذبوا أصحابه واعتدوا عليه وعليهم، يخشى الشعور بالانتقام أو الكبر أو التعالي. ويستشعر عظمة الله ورحمته عليه وأنه ناصره ومعزه.

شجاعته صلى الله عليه وسلم :

١- قَالَ الْبَرَاءُ: كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِى بِهِ وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِى يُحَاذِى بِهِ. يَعْنِى النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[3]

٢- وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّهُ حِينَمَا اشْتَدَّ الْوَطِيسُ فِي مَعْرَكَةِ حُنَيْنٍ كَانَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ: « **أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ. أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ. اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ** ».[4]

١- أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي وآدابه (١/ ٣٩١، حديث ١٤٠). وإسناده ضعيف، لكن الحديث صحيح؛ فإن له شاهدًا مرسلاً صحيحًا أخرجه أحمد في الزهد (١/ ٥).

٢- السيرة النبوية لابن هشام (٥/ ٦٣).

٣- أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٠١، حديث ١٧٧٦).

٤- المرجع السابق.

٣- وَعَنْ أَنسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ يَقُولُ « لَنْ تُرَاعُوا، لَنْ تُرَاعُوا ». وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِى طَلْحَةَ عُرْىٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ، فِى عُنُقِهِ سَيْفٌ فَقَالَ « لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا ». أَوْ « إِنَّهُ لَبَحْرٌ ».[1]

لَنْ تُرَاعُوا أي لاَ فَزَعَ وَلاَ رَوْعَ، فَاسْكُنُوا وَاهْدَءُوا. وبَحْرًا وَصْفٌ لِجَرْيِ الْفَرَسِ كَجَرْيِ الْبَحْرِ.

محبته صلى الله عليه وسلم:

١- قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضى الله عنه: مَا حَجَبَنِى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِى إِلاَّ ضَحِكَ.[2]

٢- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « **خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِى** ».[3]

٣- وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « **إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ** ».[4]

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْحَسَنَ بْنَ عَلِىٍّ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِىُّ جَالِسًا. فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِى عَشَرَةً

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٢٤٤، حديث ٥٦٨٦).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٩٠، حديث ٣٦١١)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٢٥، حديث ٢٤٧٥).

٣- أخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٦٣٦، حديث ١٩٧٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٣): روى ابن ماجه بعضه، ورواه البزار وفيه جعفر بن يحيى بن ثوبان وهو مستور وبقية رجاله ثقات.

٤- أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤٧، حديث ٢٤٢٥٠)، والترمذي في سننه (٥/ ٩، حديث ٢٦١٢): وقَالَ: حَدِيثٌ حسن.

مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ». [١]

٥- وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلاً وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللَّهِ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. قَالَتْ: وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا، فَلَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَتْ فَاطِمَةُ فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ أَكَبَّتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ مِنْ أَعْقَلِ نِسَائِنَا، فَإِذَا هِيَ مِنَ النِّسَاءِ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ حِينَ أَكْبَبْتِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَبَكَيْتِ، ثُمَّ أَكْبَبْتِ عَلَيْهِ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَضَحِكْتِ، مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَتْ: إِنِّي إِذًا لَبَذِرَةٌ، أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي أَسْرَعُ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ فَذَاكَ حِينَ ضَحِكْتُ. [٢]

زهده في الدنيا صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١]

١- وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِيَ جِبَالُ الذَّهَبِ". [٣]

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٢٣٥، حديث ٥٦٥١).

٢- أخرجه الترمذي في صحيحه (٥/ ٧٠٠، حديث ٣٨٧٢). قَالَ أَبو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٣، حديث ٧٧١٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

٣- أخرجه أبو يعلى في مسنده (٨/ ٣١٨، حديث ٤٩٢٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٩): رواه أبو يعلى وإسناده حسن.

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**».[1]

٣- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «**إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ.[2]

٤- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً. فَقَالَ: «**مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**».[3]

٥- وأما عن بساطة مسكنه وفرشه قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَتْ ضِجْعَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ.

والضِجْعَةُ هي فِرَاشُ نَوْمِهِ.

وَعَنْهَا قَالَتْ: كَانَ وِسَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الَّتِي يَنَامُ عَلَيْهَا بِاللَّيْلِ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ.[4]

٦- وأما عن بساطة مطعمه ومشربه قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ التَّمْرُ وَالْمَاءُ.[5]

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٧٢، حديث ٦٠٦٥)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٠، حديث ١٠٥٥) واللفظ له.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٤١٨، حديث ٣٦٩١).

٣- أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٨٨، حديث ٢٣٧٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

٤- أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٥٠، حديث ٢٠٨٢).

٥- أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٨٢، حديث ٢٩٧٢).

٧- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: وَالَّذِى نَفْسُ أَبِى هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا أَشْبَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَهْلَهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا.[١]

٨ - وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا عَابَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ. [٢]

٩- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ أَهْلَهُ الأُدُمَ فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلاَّ خَلٌّ فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ: "**نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ**."[٣]

١٠- وفي حديث هند بن أبي هالة يصف شمائل النبي صلى الله عليه وسلم قال: **دَمِثٌ لَيسَ بِالْجَافِي وَلاَ الْمُهِينِ، يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ، لاَ يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئًا لاَ يَذُمُّ ذَوَاقًا وَلاَ يَمْدَحُهُ** »، وفي رواية غيره « **لَمْ يَكُنْ ذَوَّاقًا وَلاَ مِدْحَةً**، وَلاَ تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا وَمَا كَانَ لَهَا، وَإِذَا تُعُوطِيَ الْحَقُّ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ وَلَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ وَلاَ يَنْتَصِرُ لَهَا.[٤]

١١- وعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: تُوُفِّىَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِىٍّ بِثَلاَثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ.[٥]



١- أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٨٤، حديث ٢٩٧٦).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٠٦٥، حديث ٥٠٩٣)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٣٢، حديث ٢٠٦٤).

٣- أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٢٢، حديث ٢٠٥٢).

٤- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ١٥٥، حديث ٤١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٧٣): رواه الطبراني وفيه من لم يسمّ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٥٤، حديث ١٤٣٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٤٢٢).

٥- أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٢٠، حديث ٤١٩٧).

معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء :

المعجزة هي فعل الله تعالى الخارق للعادة والتي يُعْجَزُ عن الإتيان بأمثالها، يجريها سبحانه على يد رسوله؛ ليثبت للناس صدق الرسول، وصدق رسالته.

والمعجزة تكون قولاً أو فعلاً أو تركًا، فالأول كالقرآن، والثاني كنبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، والثالث كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم.

والمعجزة تكون خارقة للعادة، فلا يصح أن يقول صاحبها: وآية صدقي طلوع الشمس من المشرق وغروبها في المغرب.

وربنا عز وجل يأمرنا أن نوالي أولياءه وألا نبارزهم بالإهانة والحرب، ومن بارز أولياء الله بالإهانة والحرب فإنه يكون مواليًا لأعداء الله، والله عز وجل أمرنا ألا نوالي أعداء الله، فعلينا إذن أن نمتثل لحب أهل الله، لأن حب أهل الله لا يكون إلا من حب الله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « **إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ** ».(1)

وأعلى الأولياء في هذه الأمة هو سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، فهو خير ولي كما أنه خير نبي، وهو لنا مثل الوالد للولد، وهو صلى الله عليه وسلم المقياس والمعيار الذي إذا أردنا لهذه الحياة الدنيا أن تسير على مراد الله لاتبعناه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٨٤، حديث ٦١٣٧).

غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]

شروط المعجزة:

أن تكون من فعل الله أو من يَقُومُ مقامه؛ لأن التصديق منه لا يحصل بما ليس من قِبَلِهِ.

وأن يكون خارقا للعادة إذ لا إعجاز دونه.

وأن يتعذر معارضته ومحاكاته؛ فإن ذلك حقيقة الإعجاز.

وأن تَظْهَرَ على يد مدعي النبوة؛ ليعلم أنه تصديق له، وإما أن يصرح بالتحدي، أو يكتفي بقرائن الأحوال. كأن يقال له: إن كنت نبيا فأظهر معجزا. فيفعل.

وأن يكون موافقا للدعوى، فلو قال: معجزتي أن أحيي ميتا. ففعل خارقا آخر، لم يدل على صدقه.

وألا يكون ما ادعاه وأظهره مكذبا له. فلو قال: معجزتي أن ينطق هذا الضب. فنطق الضب فقال عليه: إنه كاذب. لم يعلم به صدقه، بل ازداد اعتقاد كذبه. نعم لو قال: معجزتي أن أحيي هذا الميت. فأحياه، فكذبه، ففيه احتمال. والصحيح أنه لا يخرج بذلك عن كونه معجزا؛ لأن المعجز إحياؤه. وهو بعد ذلك مختار في تصديقه وتكذيبه، ولم يتعلق به دعوى، وقيل: هذا إذا عاش زمانا. لكن لو كذبه ثم خر ميتًا في الحال بطل الإعجاز؛ لأنه كأن أحيي للتكذيب. والحق أنه لا فرق لوجود الاختيار في الصورتين.

وأن لا يكون متقدما على الدعوى بل مقارنا لها؛ لأن التصديق قَبْلَ الدعوى لا يُعْقَلُ، فلو قال: معجزتي ما قد ظهر على يدي قَبْلُ. لم يدل على صدقه. ويطالب به بعد. فلو عجز كان كاذبا قطعا.

فكلام عيسى في المهد، وتساقط الرطب الجني عليه من النخلة اليابسة، وشق صدر رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام وغسل قلبه، وإظلال الغمامة عليه، وتسليم الحجر والمدر عليه هي كرامات، وظهور مثلها على الأولياء جائز. فالأنبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء.

ومعجزة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام كانت هي كتابه الذي أرسل به وهو القرآن.

فالقرآن هو معجزة النبي الخاتم نبي آخر الزمان سيدنا محمد، وهي معجزة باقية وخالدة إلى آخر الزمان وإلى كل الأقوام، فكل نبي سبق انقضت معجزة بموته إلا سيدنا محمد فمازالت معجزته باقية محفوظة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]

ويتمثل إعجاز القرآن في بلاغته ونظمه، وإخباره عن الغيب، واشتماله على الحكمة البالغة، وإخباره عن الحقائق الكونية التي كشف المستقبل عن واقعيتها.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]

أرسل الله عز وجل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله؛ وأنزل على قلبه الشريف القرآن، ووفقه بألا ينطق عن الهوى.

قال تعالى عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤]

وقال عن معلمه جبريل: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٥]

فالقرآن هو الوحي الفاصل بين المسلمين وغيرهم في عالمنا اليوم؛ والقرآن كتابٌ أراد الله عز وجل أن يصل إلى العباد حتى يهديهم إلى طريق الرشاد، فالقرآن كتاب هداية يرشد إلى الصراط المستقيم، يبين قضية التوحيد وكيف نوحِّد الله في سلوكنا وحياتنا، ويبين لنا مآل الدنيا وأنها إلى زوال، ويُنبهنا إلى الموت ويُنبهنا إلى الحياة الآخرة بعد ذلك، وإلى الحساب، وإلى العقاب والثواب والجنة والنار، وأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وأنه يبشر المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩] ويبشرهم أيضًا بأن لهم أجرًا حسنًا، ويبشرهم بأن لهم مغفرةً من الله عز وجل وأجرًا عظيمًا.

وكتاب ربنا أنزله الله سبحانه وتعالى محكمًا كله:

قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ [هود: ١-٢]

أُحْكِمَت آياته كلها، لكن منها ما أَنْزَلَهُ الله ابتداءً على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو أم الكتاب. ومنها ما هو متشابه مع ما أنزله الله من قبل في التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، والقرآن كله محكم، سواء أكان من صنف أم الكتاب أم كان من صنف ما تشابه مع الآيات السابقة.

قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦]

أي ما ننسخ من آية سَبَقَتْ في التوراة أو الإنجيل أو الزبور أو صحف إبراهيم أو ننسها إلا ونأت في القرآن الكريم بخير منها أو مشابه لها.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣]

يعني أن محمدًا صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الرسل وليس كتابه القرآن بدعًا من الكتب، بل إنه مُصَدِّقٌ لما بين يديه من الكُتُب ومهيمنٌ عليها.

وهذا الكتاب المتشابه الذي يؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وأن القرآن هو الكلمة الأخيرة للعالمين، والذي يؤكد ما قد ورد في التوراة والإنجيل، والذي يؤكد أن هذه الأمة هي الأمة التي قد استوعبت الآخرين إلى يوم الدين.

وكل آيات الله هدى، وكل آيات الله نور، وكل كتاب الله قد أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٧-٩]

وقد وقع لسيدنا محمد معجزات مادية حسية أيضًا كبقية الرسل وهي :

١- انشقاق القمر.

قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر: ١-٢]

٢- تسليم الحجر عليه.

فحِينَ أَرَادَهُ اللّهُ بِكَرَامَتِهِ وَابْتَدَأَهُ بِالنّبُوّةِ كَانَ إذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتّى تَحَسّرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ وَيُفْضِي إلَى شِعَابِ مَكّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَتِهَا، فَلاَ يَمُرّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِحَجَرٍ وَلاَ شَجَرٍ إلاّ قَالَ: السّلاَمُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللّهِ.(١)

٣- إخبار الشجرة له ليلة الجن.

١- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٣٢٢، حديث ٥٤٣١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٦٠): رواه الطبراني في الأوسط والتابعي أبو عمارة الحواني لم أعرفه وبقية رجاله ثقات، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٥٤)، كلاهما عن علي بن أبي طالب.

ففي ليلة الجن التي خرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن مسعود، فاجتمع نفر من الجن يستمعون القرآن ثم انصرفوا إلى قومهم منذرين، سُئِلَ ابن مسعود من أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضورهم، فقال: آذَنَتْهُ بِهِمْ شَجَرَةٌ.[١]

٤- نبع الماء بين أصابعه الشريفة وتسبيح الطعام.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِى سَفَرٍ، فَقَلَّ الْمَاءُ فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ». فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِى الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَىَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ». فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهْوَ يُؤْكَلُ.[٢]

٥- وأخبرت الذراع المطهية رسول الله تحذره من السم الذي دس فيها.

فَإِنَّ يَهُودِيَّةً مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ سَمَّتْ شَاةً مَصْلِيَّةً ثُمَّ أَهْدَتْهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الذِّرَاعَ فَأَكَلَ مِنْهَا وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ». وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَدَعَاهَا فَقَالَ لَهَا: «أَسَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ؟». قَالَتِ الْيَهُودِيَّةُ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ: «أَخْبَرَتْنِى هَذِهِ فِى يَدِى». لِلذِّرَاعِ. قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «فَمَا أَرَدْتِ إِلَى ذَلِكَ؟». قَالَتْ: قُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ اسْتَرَحْنَا مِنْهُ. فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.[٣]

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٤٠١، حديث ٣٦٤٦)، ومسلم في صحيحه (١/ ٣٣٣، حديث ٤٥٠).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣١٢، حديث ٣٣٨٦).

٣- أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ١٧٣، حديث ٤٥١٠)، والبيهقي في سننه الكبرى (٨/ ٤٦، حديث ١٥٧٨٧)، كلاهما عن جابر بن عبد الله.

٦- رده عين قتادة حين سالت على خده.

وأصيبت يوم أحد -وقيل يوم بدر- عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته، فأرادوا قطعها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لا. فدعاه، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، أي أخذها بيده الشريفة وردها إلى موضعها براحته الشريفة، وقال: "اللهم اكسه جمالا". فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى.[1]

التوسل بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم :

يجب على المسلم أن يعتقد عقيدة جازمة أن لا تأثير في الكون لأي شيء إلا لله عز وجل وأن كل ما يتراءى لنا من مظاهر الأسباب والعلل إنما هو أسباب وعلل جَعْلِيَّة جعلها الله عز وجل كذلك.

- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]

ولا ضير في استعمال ألفاظ تدل على سببية الأشياء لبعضها إذا سلمت العقيدة، مثل: لقد نفعني هذا الدواء. أو لقد شفاني هذا الطبيب. وأينع الزرع بكثرة الأمطار.

وتوسل المسلم بالأنبياء وتبركه بشيء من آثارهم وفضلاتهم مع الاعتقاد بأن المؤثر في ذلك إنما هو الله جل جلاله فلا ضير فيه؛ لأن تعبيره هذا جاء موافقا لظاهر ما أقيم الكون عليه من قانون السببية الجعلية.

ويسري هذا الكلام على التوسل والتبرك بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسل رحمة للعالمين سابقهم ولاحقهم.

١- أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٥٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٩/ ٢٧٩)، كلاهما عن قتادة.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

فقد جعله الله سببا لرحمة العباد، وأي ضير في أن يتوسل المسلم بهذا الذي شَرَّفَه الله هذا التشريف فجعله رحمة للخلائق.

أفتكون سببية الدواء للشفاء أكثر من سببية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للبركة والرحمة.

ولا فرق بين التوسل به حيا أو بعد وفاته، فليست حياته الجسدية وسيلة تأثير في المتوسلين والمتبركين به فلما توفي ذهبت وسيلة التأثير فأصبح التوسل به توسلا بما لا يملك أي تأثير.

الإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلة من الله إلى الخلق.

نؤمن بالكتب التي بُعِثَ بها الرسلُ إلى أقوامهم وجماعاتهم، نؤمن بها إجمالاً لما لم يأتِ فيه تفصيل وذكر أسماء، ونؤمن بها تفصيلاً لما ورد تفصيله كصحف إبراهيم والتوراة والزبور والإنجيل والقرآن.

والإيمان بها يقتضي الاعتقاد بأنها وحيٌ من الله عز وجل.

والواقع اليقيني يشهد بأن التبديل والتحريف قد شاع فيما سبق من كتب مع تطاول الزمن، ولم يبق إلا القرآن كتاب الله الذي تعهد سبحانه بحفظه.

قال تعالى: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت: ٤٢]

والاعتقاد في عصمة القرآن وسلامته من التحريف أو التبديل أو التغيير أو الزيادة أو النقصان واجبٌ، والإيمان بكل ما أخبر به القرآن واجبٌ، وإنكار أي شيء منه كفرٌ.

فمثلا منكر الإسراء يكفرُ؛ لأن الإسراء ثبت بالقرآن، ومنكر المعراج يفسق ولا يكفر؛ لأن المعراج ثبت بخبر الواحد.

ونؤمن بأن الجانب التشريعي في الكتب السابقة على القرآن قد نسخ بشريعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يُطَبَّقُ شيءٌ منه، ولا يعتمد حتى ولو لم يكن مما دخله التحريف والتبديل.

فشريعة الإسلام ناسخة لما قبلها من الشرائع، ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه.



كرامة الأولياء:

والولي هو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان، وهو المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي، فإن فعل معصية تاب ورجع.

وهو المعرض عن التكالب على الشهوات والملذات المباحة، وهو ولي لأن الله تولى أمره فلم يكله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة؛ ولأنه يتولى عبادة الله على الدوام من غير عصيان.

والكرامة هي الأمر الخارق للعادة الذي يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، عَلِمَ بها أو لم يعلم.

وذهب جمهور أهل السنة إلى جواز الكرامة للأولياء ووقوعها لهم في الحياة وبعد الممات.

في قصة مريم قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧]

وفي قصة أصحاب الكهف قال تعالى: ﴿ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ [الكهف: ١١-١٢]

فهي كرامات وليس شيء منها معجز؛ لفقده شرط التحدي ومقارنته للدعوى.

الاعتقاد في زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين وفي أهل بيته :

نعتقد ونوقن بطهرهم وشرفهم وكرامتهم، والسيدة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وأرضاها كانت أحب النساء إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوها كان أحب الرجال إليه، وهي التي برأها الله عز وجل في كتابه في سورة النور مما اتهمها به المنافقون.

ومن لم يؤمن ببراءتها أو نسب إليها الفاحشة أو الضلال فهو مكذبٌ للقرآن وكافرٌ.

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٣-٢٦]

قال عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضى الله عنه: إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَنِي عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: « عَائِشَةُ ». فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: « أَبُوهَا ». قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ». فَعَدَّ رِجَالاً.[1]

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٣٣٩، حديث ٣٤٦٢)، ومسلم في صحيحه (٤/١٨٥٦، حديث ٢٣٨٤).

وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل بيته :

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: خَطَبَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: « أَمَّا بَعْدُ أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّى فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: « وَأَهْلُ بَيْتِى أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى ».(١)

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « إِنِّى تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِى أَهْلُ بَيْتِى، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَىَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِى فِيهِمَا ».(٢)

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو النبي الوحيد وهو البشر الوحيد الذي بَقِيَ أهله إلى الآن، يعيشون بيننا ونعرفهم، حتى الذين انتقلوا وسبقونا إلى الآخرة نعرف مراقدهم الطاهرة، وقد تركوا لنا قدوة ومنهاجًا رشيدًا.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]

فحب الله وحب رسوله وحب أهل بيته من أركان الإيمان.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ

١- أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٣، حديث ٢٤٠٨).

٢- أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٦٦٣، حديث ٣٧٨٨)، وقال: حديث حسن غريب.

مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِى بِحُبِّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِى لِحُبِّى ».[١]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كُلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ القِيَامَةِ إلاَّ سَبَبِي ونَسَبِي".[٢]

فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

فأكثروا من الصلاة على النبي المصطفى والحبيب المجتبى، بألسنتكم، وبأفعالكم، بجوارحكم، وبقلوبكم، بعقولكم وبأرواحكم، بمناهج حياتكم وسلوككم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَىَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَىَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِىَ الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِى الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِى إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِىَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ ».[٣]

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]

١- أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٦٦٤، حديث ٣٧٨٩)، وقال: حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٤٦، حديث ٢٦٣٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٦٢، حديث ٤٧١٦)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

٢- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٤٣، حديث ١١٦٢١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٧٣): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

٣ - أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٨٨، حديث ٣٨٤).

وسلموا أنفسكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيعوا أنفسكم لله فهو مالككم، واجعلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة لكم في كل عمل.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]

الاعتقاد في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

نعتقد بشرفهم وفضلهم على الأمة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]

فنؤمن بأن الله عز وجل رضي عن أهل بدر وأحد وبيعة الرضوان

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨]

فالصحابة هم أعلام الدين، وهم مؤمنون جميعهم، بلغوا رسالة الإسلام ولم يكتموا شيئًا من القرآن ولا من أحكام الشريعة.

قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]

فلقد رزق الله النبي صلى الله عليه وسلم بمجموعة من أصحابه، آمنوا بقلوبهم ووقروه وعظموه وعزروه ونصروه، وأظهروا إسلامهم في أعمالهم، وكانت هناك طائفة من المؤمنين ضَعِيفَة تفعل ما يخالف الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَجَّهَ لهم الله عز وجل العتاب والتأديب في كتابه فقال: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]

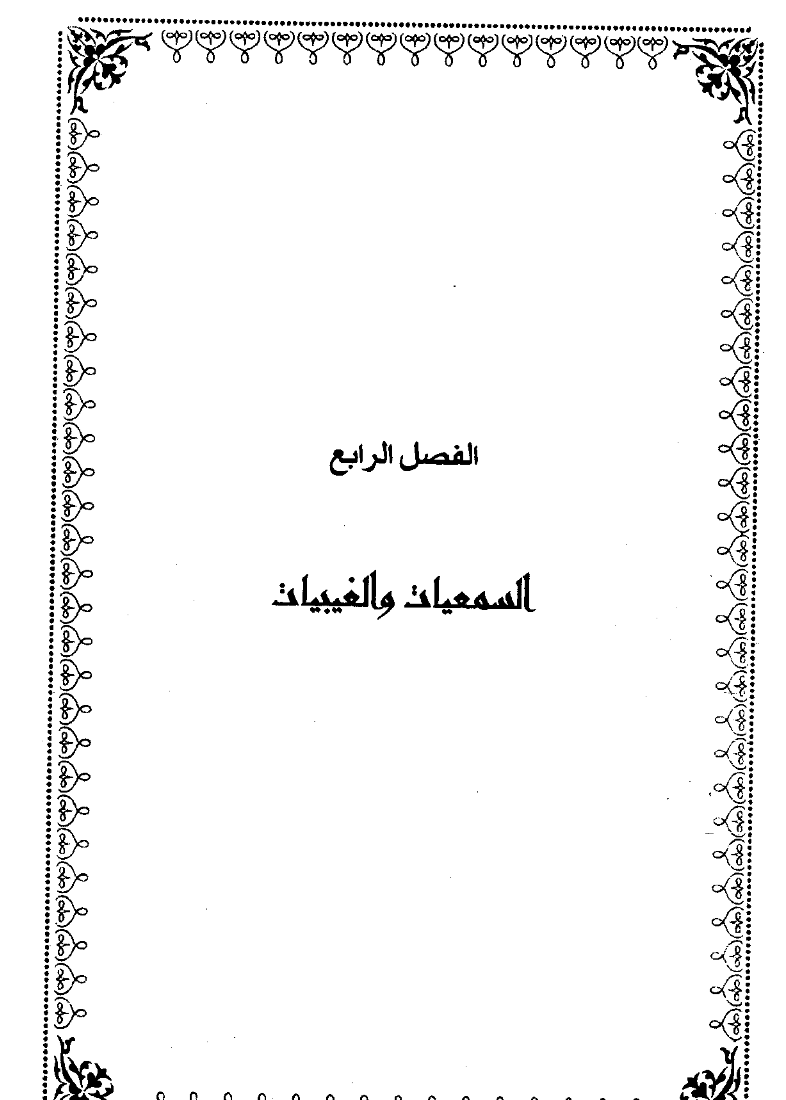
وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١-٣]

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢]

عن عمر بن الخطاب وهو على المنبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ".[1]



١ - أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ١٥١، حديث ٢٣٠٨)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٥٧١).



الفصل الرابع

السمعيات والغيبيات

تعريف السمعيات :

هي كل ما لا سبيل إلى الإيمان به إلا عن طريق الخبر اليقيني.

تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ملأ الأرض نورا، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وتركنا وقد أقر لنا في أنفسنا الإيمان بالغيب والإيمان بالشهادة، والمؤمن لا يكون مؤمنًا ولا يكون الله في قلبه وعقله ونفسه ووجدانه، ولا يؤثّر ذلك في فعله وسلوكه؛ إلا إذا آمن بالغيب وآمن بالشهادة، ووصف الله نفسه بأنه عالم الغيب والشهادة.

أما الإيمان بالغيب فهو أول أركان التقوى، فإذا تَحَقَّقْتَ بها فأنت أهلٌ لتلقي أنوار الهداية من الله تبارك وتعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٢-٣].

يؤمنون بالله الحق، وملائكته وأنها حق، وكتبه ورسله وأنها من عند الله، واليوم الآخر وأنه آت لا ريب فيه، وبالقدر خيره وشرّه، وأنه لا يكون في الكون إلا ما أراد الله. يؤمنون بذلك إيمانا تخالط بشاشته القلب، وتصديقا لا يعتريه شك ولا ريب.

والغيب نؤمن به ولا نراه بأبصارنا، ولا ندركه بعقولنا المجردة، فالمؤمن يشهد أنه حق، ويشهد بقلبه.

قال تعالى عن نفسه: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٦-٧].

والإنسان حين يسمع فيعي، ويبصر فيعتبر، حين يشهد بفؤاده فيرتقي شاكرا لله رب العالمين ساعيا في مراد الله ورضوانه فهذا هو الإنسان الذي كرّمه الله وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا؛ فسجدت له ملائكة عرش الرحمن، وسخر الخالق له الأكوان.

هناك يقوم هذا الإنسان الضعيف في خَلْقِه القوي بربّه يقوم بالحق؛ وإذا قام هذا

الإنسان فإنه يؤسس البنيان، ويقيمه راسخا على تقوى من الله ورضوان، بَدْءًا من الكلمة وانتهاء بعمارة الأرض، فينفع الناس، ولا يُخْسِر الميزان، ويقيم الشهادة لله الحق على هدى من الله.

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١-٥].

فالله تبارك وتعالى قد أنزل إلينا القرآن خاتمًا للكتب يرشدنا كيف نُقيم هذه الشهادة بالحق بعبادة الله وعمارة الدنيا وتزكية النفس، والتصديق بالغيب والشهادة.

والإيمان بالغيب هو المدخل إلى عبادة الله.

قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فالإيمان بغيب الغيب برب العالمين يُخرج الشيطان من قلبك ومن نفسك ومن روحك ومن كيانك كله، وإذا غاب الله عن الوجدان دخل الشيطان.

والمدخل إلى ذلك تلخَّص في أمور ثلاثة: في الحب، وفي الرهبة، وفي المعرفة.

فكيف نجعل الإيمان بالغيب يُفجِّر المحبة في قلوبنا؟ فالحب هو الرحمة، رحمة العامة والخاصة، وآيته العطاء، والله تعالى يحب المؤمنين، والله يحب صنعته؛ وأرسل رسوله الخاتم محمدا رحمة للعالمين.

وأما الرهبة فإنها تملأ القلوب وتقشعر منها الأبدان، ولكنها لا تكون إلا لله، فيتحرر الإنسان. ونحن ندعو الناس إلى الحرية، وغيرنا يدعو الناس إلى التَّفلّت، ونحن ندعو الناس إلى الحب وغيرنا يدعوهم إلى القسوة، وندعو الناس إلى الإيمان بالغيب وغيرنا يَدَّعِي أن الغيب خرافة، وندعو الناس إلى أن يعيشوا في سنن الله التي خلقها في كتابه

المنظور في هذا الكون، وأن يتدبروا كلامه المسطور في القرآن الذي أوحى به إلى النبي المصطفى والحبيب المجتبى صلى الله عليه وسلم، وغيرنا ممن أنكر الغيب والوحي ينكر الأخذ بكتاب الله إلا على أنه نص أدبي، ويعيش وقد ضيّق على نفسه الحياة الدنيا، وسعي فيها بالفساد، فاختلت حينئذ المعاني بيد البشر، ولا منقذ لهم إلا الإسلام.

وأما المعرفة فتبدأ بمعرفة النفس، وهي عينها معرفة الله، كما قال يحيى بن معاذ: من عرف نفسه فقد عرف ربه. فمن عرف نفسه بالافتقار والعجز والبداية والانتهاء والحدوث عرف ربه بأضدادها، بأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم وبكل شيء محيط.

فمن عرف نفسه وعرف أنه مخلوق أدرك أن الله هو الخالق جل شأنه وعز في علاه، ومن عرف نفسه فإن نور الله يدخل قلبه، ومن دخل نور الله قلبه خرج الشيطان منه، ومن كان كذلك كان مأمونًا على البشر، مأمونًا على نفسه، مأمونًا على هذا الكون الذي خلقنا الله فيه خلفاء، لا يستطيع وهو يعلم أن مرده إلى الله أن يُفسد، ولو أفسد لا يستمر في الفساد؛ لأنه يضيق صدره فيتوب ويستغفر ويرجع عما قدمت يداه.



الإنسان :

وهو مخلوق من حيث الجنس من عنصر التراب، ومتكاثر من حيث المصدر من الإنسان الأول آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [الحج: ٥]

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٨]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

والنفس الواحدة هي آدم.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « مُؤْمِنٌ تَقِىٌّ وَفَاجِرٌ شَقِىٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ » [١].

والإنسان مخلوق منذ نشأته الأولى في أتم مظهر وأحسن تقويم، ولم يتطور خلال شيء من تاريخه تطورًا نوعيًّا من فصيلة إلى أخرى.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦-٨]

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧-٩]

١- أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٦١، حديث ٨٧٢١)، وأبو داود في سننه (٤/ ٣٣١، حديث ٥١١٦).

الإنسان هو أفضل المخلوقات وأشرفها.

ومذهب جمهور أهل السنة والجماعة أن خواص البشر من الأنبياء والصديقين أفضل من خواص الملائكة، وعوام البشر من صالحي المسلمين أفضل من عوام الملائكة.

ودليلهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٧]

والبرية تشمل الملائكة.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ».(١)

واستدلوا أيضًا بأن الإنسان حمل أمانة التكليف والاختيار التي أشفقت من حملها السموات والأرض. وقد ركب الله بالإنسان شهوات وأهواء لتمام الابتلاء والتكليف، فإن استطاع الإنسان مقاومتها والتغلب عليها فإنه يستحق بذلك تشريفا وأجرًا لا يستأهله غيره من الكائنات والمخلوقات المجبولة على الطاعة مثل الملائكة، فإنها لم تتعرض للابتلاء بالشهوات والأهواء ولم تكلف الاختيار بل جبلت على الطاعة.



الملائكة:

الملائكة أجسام لطيفة نورانية، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة في أشكال حسنة، شأنها الطاعة، ومسكنها السموات غالبًا، ومنهم من يسكن الأرض، يسبحون الليل والنهار

١- أخرجه أحمد في مسنده (١٩٦/٥، حديث ٢١٧٦٣)، وأبو داود في سننه (٣١٧/٣، حديث ٣٦٤١)، وابن حبان في صحيحه (٢٨٩/١، حديث ٨٨).

لا يفترون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة.

والملائكة عباد الله، وليسوا أولادًا أو أندادًا له سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٩-١٥٢]

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩]

والملائكة متقيدون بأوامر الله لهم، فلا يعصونه في أمر، ولا ينحرفون إلى ارتكاب منهي، وهم ملازمون لعبادته، ودأبهم ذكره والتسبيح بحمده.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٤٩-٥٠]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]

وقد خلق الله تعالى للملائكة أجنحة مثنى وثلاث ورباع، كما أخبرنا تعالى في كتابه، وليس لنا علم بتفاصيل هذه الأجنحة أو كيفيتها، إذ الملائكة محجوبون عنا بإرادة الله وحكمه، ولم يُفصِّل القرآن الخبر عن ذلك.

قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١]

والملائكة مخلوقون من نور غير مرئي بالعين، ولكن الله جعل لهم القدرة على التشكل والظهور بمظهر الأجسام الكثيفة المختلفة.

قال تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ١٧]

ولا يسع المؤمن بالله ورسوله إنكار شيء من هذه الصفات. ومن ينكرها يكفر باتفاق.

تفصيل القرآن لوظائف الملائكة:

١- إبلاغ كلام الله وحكمه إلى عباده المرسلين.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الحج: ٧٥-٧٦]

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]

٢- حمل العرش

قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٧]

٣- يقومون على شئون الجنة وتنعيم أهلها.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣]

٤- يقومون على شئون النار وتعذيب أهلها.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٢٧-٣٠]

٥- مراقبة أعمال المكلفين وتصرفاتهم وإحصاؤها في كتاب مبين

قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]

٦- المحافظة على الإنسان خلال مراحل حياته

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١]

قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]

٧- قبض الأرواح.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧]

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١]

والجمهور على أن ملك الموت واحد، ولكن الله عز وجل عززه بطائفة أخرى من الملائكة.

وذكر سبحانه من أسماء الملائكة في القرآن: جبريل، ميكائيل، مالك.



الجان:

لقد ثبت وجودهم بالدليل القطعي الذي لا احتمال فيه، وهو الخبر الصادق الذي جاء به القرآن بنصوص قاطعة لا احتمال فيها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟

أنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩]

والجن مخلوقون من نار.

قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٥]

والجن مكلفون باتباع الأنبياء والرسل وعبادة الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

وهم مخلوقات مختارة منهم المؤمن ومنهم الكافر.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٤]

وإبليس كان من الجن، ولكنه طرد من رحمة الله عز وجل بسبب عصيانه لأمر ربه بالسجود إلى آدم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف: ٥٠]

وإبليس مُنْظَرٌ إلى يوم القيامة، ومَحْكُومٌ عليه بالعذاب الأليم هو ومن يتبع وسواسه من بني آدم يدخلون الجحيم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٣٦-٤٣]

والجن يعيشون معنا على الأرض، وهم يَرَوْنَا ونحن لا نَرَاهُمْ.

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٦]

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧]

ونؤمن بالعرش

وهو من أعظم المخلوقات، يحضره الله يوم القيامة تحمله ثمانية من الملائكة. لا نقطع أو نُعَيِّن بماهيته أو حقيقته لعدم العلم بها.

ونؤمن بالكرسي وهو من المخلوقات العظيمة، وكذلك لا نقطع أو نعين ماهيته أو حقيقته.

ولكن نقطع بأنهما ليسا محلاً للرب، فلم يخلق سبحانه وتعالى العرشَ للعلو أو للارتقاء، ولا الكرسيَ للجلوس، ولا القلمَ لاستحضار ما غاب عن علمه، ولم يخلق اللوحَ أو الملائكةَ الكتبةَ لضبط ما يخاف نسيانه.



نؤمن بالجنة والنار :

ونؤمن بأنهما مخلوقتان.

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]

وجاءت أُعِدَّتْ بلفظ الماضي. فهو صريح في وجودهما.

فالجنة والنار مخلوقتان الآن.

ونؤمن بالجنة دار الثواب والنعيم، ونؤمن بالنار دار العذاب والجحيم وقودها الناس والحجارة، أوجدهما الله تعالى وأعدهما، فهما موجدتان حقا، والجنة درجات في النعيم، والنار دركات في العذاب، كل مكلف فيهما حسب عمله.

والجنة والنار دار خلود، أي دار إقامة مؤبدة، فالجنة دار خلود للسعيد وهو من مات على الإسلام وإن تقدم منه كفر، ويدخل في السعيد عصاة المؤمنين فدار خلودهم الجنة ولا يخلدون في النار إن دخلوها.

قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥]

فنعيم الجنة دائم إذا فني منه شيء جيء ببدله.

وأما قوله: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨]

أي كل شيء في حد ذاته لضعف الوجود الإمكاني، فالتحق بالهالك المعدوم، أو نقول: إنهما أي الجنة والنار تعدمان آنا بتفريق الأجزاء دون إعدامها، ثم تعودان بجمعها، وذلك كاف في هلاكهما، فتكونان دائمتين ذاتا هالكتين صورة في آن.

والنار كذلك دار خلود للشقي، وهو من مات على الكفر وإن عاش طول عمره على الإيمان، سواء كان كفره جهلا، أو مكابرة، أو بَالَغَ في النظر فلم يَصِل إلى الحق وتَرَكَ التقليدَ الواجبَ عليه.

وأطفال المشركين وأطفال المؤمنين على الصحيح أنهم في الجنة؛ لأنهم ماتوا قبل التكليف.

ونؤمن بالحوض

وللنبي محمد صلى الله عليه وسلم حوض يُعْطَاهُ في الآخرة، يَرِدُهُ المؤمنون من أمته، ومن شرب منه لا يظمأ أبدا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « **إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ** ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**».(١)



أشراط الساعة :

ولقيام الساعة علامات وأشراط تظهر في الدنيا، كخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة التي تَحْشُرُ الناس، وطلوع الشمس من مغربها، وظهور الدخان.

وهذه العلامات- خاصة التي دلَّ عليها الدليل القرآني القطعي- من يكفر بها فهو مكذب بالقرآن وكافر. ويجب الإيمان بها على حقيقتها، فهي من السمعيات التي لا مدخل للعقل فيها ولا مجال لتأويلها.

قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٧٠]

١- أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٧، حديث ٢٤٧).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل: ٨٢-٨٣]

قال تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان: ١٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « **لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ** ».(1)



الإيمان بالموت :

الموت ضد الحياة، وهو فراغ الآجال المقدرة وانفصال الروح عن الجسد.

والموت يصيب كل نفس قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٧]

ويقبض الأرواح ملك الموت الموكل بها عزرائيل ومعناه عبد الجبار، وله أعوان بعدد من يموت، يترفق بالمؤمن ويأتيه في صورة حسنة دون غيره.

- وكلُّ ذي رُوحٍ يُفعَلُ بِهِ ما يُزْهِقُ رُوحَه كالضرب بالسيف فهو مَيِّتٌ بانقِضَاءِ عمره.

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤]

فالمقتول قد استوفى أجله من غير تقدم عليه ولا تأخر عنه، في الوقت الذي علم الله

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٩٧، حديث ٤٣٥٩).

حصول موته فيه أزلا، وإنما وجب القصاص من قاتله نظرا لِكَسْبِهِ الفعل.

- وشهيد الحرب يحيى حياة كاملة بعد استشهاده، وإن كانت كيفيتها غير معلومة لنا، فالموتى جميعهم يحيون حياة برزخية لاتصال أرواحهم بأجسادهم على هيئة ما، ولكن حياة الشهداء أكمل، وأكمل منهم حياة الأنبياء في قبورهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

وأجسام الأنبياء لا تأكلها الأرض، فهي لا تبلى اتفاقًا، واخْتُلِفَ في غيرهم كالشهداء في المعركة والعلماء العاملين وحملة القرآن، فقيل: لا تأكل أجسادهم الأرض.

وشهيد الحرب هو من قاتل لإعلاء كلمة الله غير ناظر لعرض دنيوي، وأما من كان في حكم الشهيد كالمطعون والمبطون فحياته في القبر دون حياة شهيد الحرب، ولا تجرى عليه أحكام الشهداء في الدنيا، فإنه يُغَسَّلُ وَيُصَلَّى عَلَيْهِ.



السؤال في القبر:

ورد سؤال الإنسان في قبره في السُّنَّةِ المتواترة.

فالروح تُرَدُّ في الجسد بهيئة مخصوصة لسؤالها في القبر وتنعيمها أو تعذيبها فيه، ويُرَدُّ للإنسان من الحواس والعقل والعلم ما يتوقف عليه فهم الخطاب، ويَتَأَتَّى معه رد الجواب حتى يسأل.

فيسأل الميت بعد تمام الدفن وعند انصراف الناس منكرٌ ونكيرٌ، وهما ملكان، يسألانه ثلاث مرات. ويسألان كل أحد بلغته.

يسألانه عن الشهادتين، وعن توحيده الله، وعن إيمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم.

ويستثنى من السؤال الأنبياء فلا يسألون، وكذلك شهداء الجهاد في سبيل الله بأنفسهم، وكذلك الأطفال لعدم تكليفهم.

ثم يُسَلَّطُ على المنافقين والكافرين عذابٌ في القبر ويُضَيَّقُ عَلَيْهِ، ويُنَعَّمُ المؤمنون والصالحون في قبورهم ويوسع عليهم إلى يوم القيامة.

وليس عسيرا على الله جل جلاله أن يعكس الحياة مرة أخرى على ذرات الجسم سواء كانت مجتمعة في قبر أم موزعة في فلاة أم متفرقة في بطن سبع فيعي بذلك السؤال والجواب، ويرى المَلَكَ الذي يسأله، ويكلمه، وليس مطمع في أن تعلم كيفية ذلك تفصيلا، فحقائق ما بعد الموت متعلقة بنظام آخر مختلف كل الاختلاف عما قبل الموت.

وأما عذاب القبر ونعيمه فقد أشارت إليه بعض الآيات :

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣]

قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٧]

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]

فلما عطف فيها قوله ويوم تقوم الساعة على غدوا وعشيا علمنا يقينا أن النار التي يعرضون عليها غدوا وعشيا غير التي يعرضون عليها يوم القيامة، ولا شك أنه واقع ما بين الموت والنشور.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**». ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ: « **لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا** ».[1]

١- أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٨٨، حديث ٢١٣)، ومسلم في صحيحه (١/ ٢٤٠، حديث ٢٩٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »**. [١]

وأهل السنة والجماعة وجمهور المسلمين قالوا: إن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح والجسد معًا، إذ هو من قبيل الممكن؛ ولأن ظاهر النصوص الواردة تقتضي ذلك، ولا حاجة إلى التأويل.

وكل ما جوزه العقل وورد به الشرع من أمور الغيب وجب الإيمان بثبوته بلا تأويل، كعذاب القبر ونعيمه، ورد الروح إلى الميت في قبره، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة.

المعاد :

إن الوجود أمر واحد لا يختلف ابتداء وإعادة، وإعادة المعدوم جائزة.

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨-٧٩]

قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٩]

فيوم القيامة يَرُدُّ الله على الإنسان جسده الذي تحلل وبلي من خلية أو عظمة في جسده هي عجب الذنب لا يأكلها التراب.



١- أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٦٤، حديث ١٣١٣)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٩، حديث ٢٨٦٦).

ونؤمن بالبعث والحشر للحساب.

والبعث هو إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد إنشاء أجسامهم وتجميعها مرة أخرى كما أنشأها تعالى أول مرة.

وجمع الأجزاء على ما كانت عليه، وإعادة التأليف المخصوص فيها أمر ممكن وجائز، والله عالم بتلك الأجزاء قادر على جمعها وتأليفها، لعموم علمه وقدرته، وصحة القبول والفعل توجب الصحة قطعا. وأما الوقوع فلأن الصادق أخبر عنه في مواضع لا تحصى بعبارات لا تقبل التأويل حتى صار معلوما بالضرورة كونه من الدين.

وكل ما أخبر به الصادق فهو حق.

واخْتُلِفَ هل يَعْدِمِ الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها أو يفرقها ويعيد فيها التأليف، والحق أنه لم يثبت ذلك ولا جُزِمَ فيه نفيًا ولا إثباتًا لعدم الدليل.

وما يحتج به من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]

ضعيف؛ لأن التفريق هلاك.

وهلاك كلِّ شيء خروجه عن صفاته المطلوبة منه وزوال التأليف الذي به تصلح الأجزاء لأفعالها وتتم منافعها، والتفريق كذلك.



ونؤمن بالحشر

وهو سوق العباد جميعا إلى الموقف، وهو الموضع الذي يقفون فيه للحساب.

ويحشر مع الإنس الجنُّ والمَلَكُ، ويحشر معهم البهائمُ والوحوشُ، على ما ذهب إليه المحققون.

وكذلك يحشر السقطُ الذي نُفِخَ فيه الروحُ ثم يُعَادُ بروحه ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجمال والطول.

وأول من تنشق عنه الأرض سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أول من يدخل الجنة.

✧ ✧

الشفاعة :

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي يشفع للخلائق بين يدي الله حتى يصرفون من المحشر إلى الحساب.

والإيمان بشفاعة النبي محمد واجب سمعا، وهي المقام المحمود أو الوسيلة أو الدعوة التي ادخرها سيدنا محمد لأمته، والشفاعة هي سؤاله صلى الله عليه وسلم المولَى العفوَ لمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله. وإن كان من أهل الكبائر يشفع له حتى يعفو عنه فلا يدخل النار، فإن دخلها يشفع له حتى يخرج منها ويُرَدُّ إلى الجنة.

وللأنبياء يوم القيامة شفاعة، وللملائكة، وللأولياء، والشهداء، ولكن أول شافع وأول مشفع هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو أول من يَطْلُبُ الشفاعةَ، وأول من تُقْبَلُ شَفَاعَتُه.

وأما شفاعة غيره صلى الله عليه وسلم لا تكون إلا بعد انتهاء المؤاخذة والعقاب على الذنوب والكبائر التي لم يعف الله عنها ابتداء.

وفائدة الشفاعة حينئذ تشريف الشافع وإظهار قدره ومكانته عند الله يوم القيامة، فهي من فضل الله في الآخرة ونعيمه لذوي الصلاح والتقى.

وغفران الذنوب التي دُونَ الكفر جائز عقلاً وسمعا، فالشفاعة إذا ترجَّحُ كفة الغفران الممكن. وأما الشرك فهو ممتنع سمعا على الغفران قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]

ولذلك فإننا أهل السنة والجماعة لا نُكَفِّرُ في الدنيا مؤمنا بالذنب، ولا نَحْكُمُ بخلوده في الجحيم صَغُرَ الذنبُ أو كَبُرَ. بل الصواب تفويض أمره لله إن لم يَتُبْ، فلا نقطع

بالعفو عنه، ولكن نقطع له بعدم الخلود في النار؛ لأن المؤمنين يدخلون الجنة لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧] ولا شك أن إيمانه بالله خير. فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة.

ويجب الاعتقاد في تعذيب الله بعضَ مَنِ ارتكبَ كبيرةً من غير تأويل يُعْذَرُ به ومات بلا توبة. وهذا البعضُ مِمَّنْ لم تتعلق مشيئة الله بالعفو عنهم لأمرٍ عَلِمَهُ فيهم.

والحساب

هو توقيف الله الناس على أعمالهم خيرا كانت أو شرا قولا كانت أو فعلا تفصيلا، بعد أخذهم كتبهم التي دونت فيها حسناتهم وسيئاتهم، ويكون الحساب للمؤمن والكافر، إنسا وجنا، إلا مَنْ قضى الله أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « **يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».[١]

ويحاسب ربنا تبارك وتعالى عباده بالفضل والجود والإحسان فيضاعف الحسنات لأهلها بفضله وجوده لا وجوبا عليه. ثم يجازي اللهُ السيئةَ بمثلها، وله تعالى أن يعفو ما لم يكن كفرا، فمن لم يعفو الله تعالى عنه خلد في النار.

عن أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «**إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلاَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا**».[٢]

وعن أَبي ذَرٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: « **الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَالسَّيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ أَوْ أَغْفِرُ، وَلَوْ**

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٧٥، حديث ٦١٠٧).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٤، حديث ٤١).

لَقِيتَنِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا مَا لَمْ تُشْرِكْ بِى لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ». [١]

والحسنة هي ما يُمدح فاعله شرعا، وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها يوم القيامة.

والسيئة هي ما يُذَمُّ فاعله شرعًا، صغيرة كانت أو كبيرة، عملها العبد حقيقة، أو حكمًا كأن تكون طُرِحَتْ عليه لظُلامته الغير، فإنه يُؤْخَذُ من حسنات الظالم ويُعْطَى للمظلوم. فإذا نفدت حسنات الظالم طُرح عليه من سيئات المظلوم، ثم قذف بالظالم في النار.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « **إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ** ».[٢]

ونؤمن بأن للذنوب والسيئات مكفرات، كالتوبة الصادقة، والحج المبرور، والجهاد في سبيل الله. والصلوات الخمس كذلك كفارات للذنوب، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، والعمرة إلى العمرة، إذا اجتنبت الكبائر.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ** ».[٣]

والكبائر هي الذنوب العظيمة التي غَلَّظَ الله تعالى في توعد فاعلها، كالزنا والقتل والسحر وأكل مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات وشهادة الزور.

١- أخرجه أحمد في مسنده (٥/١٥٣، حديث ٢١٣٩٨).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه (٤/١٩٩٧، حديث ٢٥٨١).

٣- أخرجه مسلم في صحيحه (١/٢٠٩، حديث ٢٣٣).

وحسنات الإنسان وسيئاته تدون في كتاب يأخذه الإنسان في الحشر، فمن أخذه بيمينه فهو من أهل النعيم، ومن أخذه بشماله فهو من أهل العذاب.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]

ويوزن للإنسان المؤمن والكافر عمله من السيئات والحسنات يوم القيامة، فمن خفت موازينه أي موازين حسناته فهو من الخاسرين، ومن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٨-٩]

وأما قوله تعالى عن الكافرين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥]

فهو يعني أن الله عز وجل لا يقيم للكافرين أي قيمة أو مكانة أو اعتبارا، أي أنهم في المهانة يوضعون ويؤخرون.

ويستثنى من الميزان الأنبياء ومَنْ كَتَبَ الله لهم أن يدخلوا الجنة بغير حساب.



ونؤمن بالصراط

وهو جسر ممدود على متن جهنم، يمر عليه العباد أولهم وآخرهم مؤمنهم وكافرهم، وحتى النبيون والصديقون ومن يدخل الجنة بغير حساب. وهو أدق من الشعرة وَأَحَدُّ من السيف، فمن كان من أهل السعادة سلكه ونجا، ومن كان من أهل الشقاوة سقط من فوقه في جهنم.

وفي الختام :

نسأل الله تعالى حُسْنَ اعتقاد ينجينا من أهوال يوم القيامة، ومزيدَ إيمان يُخْتَم لنا فيه بالسعادة، وصالحَ عملٍ يبلغنا الجنة وزيادة.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهرس